المكتبة الصوفية

الرحلة المراكشية

أو

مرآة المساوئ الوقتية

ويسمى أيضا

السيف المسلول على المعرض عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

السيد محمد بن محمد بن عبد الله الموقت

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
1434هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الموقت ، السيد محمد بن محمد بن عبد الله
الرحلة المراكشية او مراة المساوى الوقتية / تاليف : السيد محمد بن محمد بن عبد الله الموقت
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2012
ص ، 24 سم
تدمك : 978-977-341-583-1
1- التصوف الاسلامى
ا- العنوان

ديوى: 260

رقم الايداع: 2012/16298

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

[الذاريات]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على مولانا محمد وآله وصحبه وأمته وعلينا معهم

قال مؤلفه محمد المؤقت كان الله له: ثم بعد انفراغ من صلاة العصر أخذ كل منا مكانه إلتفت الشيخ عبد الهادى إلى عبد الباسط المراكشى. وقال له هات ما عندك.

فقال من عوائد أهلها القبيحة عمل العمارية للعروس، وهو صندوق مربع مفتوح الجوانب تدخل فيه العروس ويلف بأنواع من ثياب الحرير ويوضع على رءوس الرجال، ويعرفون عندهم بالرفاعة، ويرقصون بها وهى على رءوسهم حالة ضرب الطبول والشبابة من طائفة مخصوصة لهذه الحركة وكذا ضرب المومسات المعروفات بالمداحة، ويأخذ الناس من أقارب الزوجة والزوج فى إعطاء الدراهم، وذلك بأن يضع كل واحد منهم شيئًا على جهة واحد من الحاملين لها ويقع التنافس الغريب فى الإعطاء والتفاخر به.

وهكذا فى كل ظرف دقيقة من الزمان، وربما أحصى من المال فى تلك الحالة ما يقرب من ألف ريال، بل أزيد على حسب البيوت من ضعف وغنى، ومن أغرب ما يسمع أن العروس إذ غلبها النوم حالة الرقص بها يدخل أحد الحاملين لها يده بمرأى الناس ليستيقظها، وربما وصلت يده عورتها.

وربما سقطت العروس من فوق رءوسهم حالة الرقص فيراها كل من حضر ذلك المجلس من الرجال، وكثيراً ما وقع هذا بنوم منها أو بانكسار تلك

الأعواد أو بحلها من تلك الحبال. ثم يخرجون بها من محل أبيها إلى بيت الزوج على ضرب الطبول والشبابة: أى الغطاء، وكذا ضرب المداحة، وقد زادوا فى هذه الأيام صياح النفير.

ولعلهم فى المستقبل يزيدون على هذه الآلات إحدى الطوائف الثلاث إما عيساوة أو حمادشة أو اكتاوة أو الجميع لأن الخرق اليوم فى الزيادة. وهكذا إلى أن تصل لبيت زوجها فيتجدد العمل الأول الذى كان من أول الليل إلى الثلث الأخير منه.

فإذا مل الناس من إعطاء المال وفرغ ما بيدهم منه ولو بالسلف، تعلق الحاملون لها بها إلى أن يدفع لهم الزوج قدراً من المال يرضيهم زيادة على الوباء الحاصل فى ماليته بسببها، فحينئذٍ يسلمونها له وإلا فضحوه وسبوه ولعنوه وبشروه بالشؤم الداخل عليه منها حين قطع عنهم العادة المقررة من أزمان

وهذه بلوى عمت سائر البلاد والأنحاء، واستحكم أمرها وعسر قلعها من نفوس الجاهلين، حتى صار من المحتم عندهم وجود هذه الصورة فى الأعراس، ولم لم يفعل ذلك: إما لفاقة أو خوف من فتنة عدو أخرق، ولاحظ له فى الإنسانية، وربما قابلوه بما لا يطلق سماعه.

وهذه إحدى الدواهى التى سجلت على صفحات المغرب خرقًا وحمقًا ما بعده خرق وحمق.

ثم إذا زفوا العروس لزوجها والتحف معها فى فراش واحد، تبقى الرجال والنساء بباب بيته ينظرون ويسمعون ماذا يكون من النكاح ومقدماته، وربما رفعوا أصواتهم بشىء من الشعر أو بضرب آلات اللهو إذا تفاحش الأمر

تسترا عـن سماع بعض الناس، وهذا كله من استـحكام الجهل، وسكوت من بيدهم الحل والربط عنه.

ثم إن النساء بعـد هذا: يسألن عن دم البكارة، وعن الخـرق التى فيـها الدم. فإذا قام بذلك أخـذوه وحرروا النظر فيه: هل هو دم البكارة حقـيقة أو دم مصنوع؟ فإذا وقفوا على الحقيقة رفعوه فوق آنية من فضة وصرن يدرن فى البـد على الأقـارب ويـغنين ويطلقن أصـواتهن بالـزغـاريد فى الطرق بمرأى الناس، واستـعمال آلات لـهوية بيدهن إلى أن يصلن إلـى بيت أبى الزوجة، فيصـير أهلها يبذلون المال على ذلك برهة من الزمان شكـرًا لتلك النعمة التى كادت أن تفقد اليوم، وهى صيانة عرضها، وتحصن فرجها.

وبالجملة: فبلادنا أصبحت من السنة خـالية، ناهجة نهج الجاهلية، فلا تسأل عن أفـعال النساء: فلهن خرافـات استهوين بهـا عقول قومـهن، حتى أصبح الرجل على شريعة امرأته الشيطانة العادمة الدين.

وفى صباح غده يعمل الزوج وليمـة إسلان، وهو عبارة عن يوم تجتمع فيه الأقارب والأصحاب، ويستـحضر فيه من أنواع آلات اللهو ما يمكنه على حسب قوته وضـعفه. فمنهم من يجعـل شيخ التعريجة وهى آلة مـجوفة من تراب مطبوخ مبـطنة من جهة بالجلد، وأركان هذه الحـركة ثلاثة رجال، وهم من السفـاهة بمكان: لأنه لا يصـدر منهم فى حالة اشـتغالهم بـهذه الآلة إلا القصائد الملحوظة الممزوجة بالسفه والوقاحة والعشق وما فيه من ذكر الصراحة بأوصـاف زينب وخديجـة وعائشـة وحبـيبـة وأم كلثوم وزهرة ومـحجـوبة، والتصريـح بالصدر والنهد وحور العـين وتكحيلها، والمعصم وحـمرة البنان، وغيـر ذلك من الأوصاف التى تحـرك دواعى العشـق ولو من الكهول، فـهذا كلامهم فى هذه التلعبات الشيطانية.

وتراهم يفتخرون بأصحاب هذه الانشاءات التى احتوت على ضروب الفتنة، فيقولون: هذا كلام قدور العلمى، وهذا كلام التهامى، وهذا النجار، وهذا ابن سليمان، وهذا ابن على، وفلان وفلان، ولا شك أن أصحاب هذه الإنشاءات ضالون مضلون فتانون مفتونون، ومنهم من يجعل جماعة المطربين، ويقال لهم الآليون، وحركتهم هذه متوقفة على الصنج ذى الأوتار، وهو الطر والعود والرباب والكمنجة والسنتير وغير ذلك، وهؤلاء كذلك من السفاهة بمكان* ومن أسمج عوائدهم وأقبحها أنهم يبتدئون موازينهم ولهوهم بالثناء على الله تعالى أو أمداح نبوية أو صلاة على المصطفى ﷺ ويختمونها بأدعية مسجعة. فإنهم إن أرادوا بذلك استحلال ما حرم من تلك الآلات فقريب من الكفر، وإن أرادوا تكفير ما فيه من الوزر فجهل عظيم، بل هو إلى الاستهزاء أقرب فيزداد الإثم من جهة استعمال ما وضع للتعظيم فى غير محل التعظيم، وأما حكم هذا الطرب فقد ذكرته فى كتابى "الكشف والتبيان، عن حال أهل الزمان"، وأنه حرام باتفاق العلماء، ولا يختلف فى تحريمه اثنان ممن لهم القدم الكبير فى السنة المحمدية، وأنه شعار أهل الخمور والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون، وأن هذه الآلات لا يجوز بيعها ولا شراؤها، والتعيش بها من أكل أموال الناس بالباطل، ومنهم من يجعل بدل هؤلاء العياطات، وهن عبارة عن جمعية من العاهرات المومسات السفيهات المكشوفات الرءوس والصدور الحاسرات الأذرع يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وبيدهن تعاريج وطر، وربما حضر معهم فاسق بيده الكمنجة فيسيرون على سيره فى تلك الأعمال، والشيطان يجول جولته المعروفة بين الرجل والمرأة، سيما إذا كان هذا العمل فى البساتين والمنتزهات.

ولقد أصبح هذا العمل اليوم سنة الناس فكل من تركه عده المفتونون متجمدًا، وزد على هذه المناكر استحضار المحرمات فى هذا المجلس فكل من أراد حضورهن وأن تقوى شيطنتهن وجنونهن لابد له أن يستحضر لهن الخمر والدخان ومعجون الحشيش والأفيون، فإذا حل بأبدانهن وتمكن منهن أظهرن العجب فى التغنى والرقص ورفع أصواتهن بالزغاريد إلى غير ذلك مما يأباه الشرع الشريف.

ثم فى اليوم الثانى يعمل لهؤلاء أيضًا نزهة ويرتكب فيها ما ارتكب فى اليوم الأول من تلك المناكر المتقدمة التى كانت لغالب من ارتكبها الفلس بعد أن كان ذا ثروة، غير أنه يزيد على ذلك بشىء آخر، وهو أنه يرجع من النزهة على ظهر فرس والطبول تضرب له والسفهاء بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وحوله من الأضواء عدد كثير إلى أن يصل لمنزله فيدخل الجميع حتى يكون به نظير ما كان فى النزهة. ثم تتفرق تلك الجموع ككلاب اجتمعت على جيفة وافترقت عنها.

ولقد أضاع الناس اليوم الدين ونزعوا جلباب الحياء إلى غير ذلك من العوائد القبيحة التى يرتكبونها فى هذا الموضوع التى ينبغى لنا أن ننزه أقلامنا عنها.

وأما أمر النكاح اليوم فى نفسه فحدث عنه بما تشاء. فلقد أصبح الكثير من الناس فى غير نكاح صحيح وكثر أولاد الزنا، ومع هذا يدعى غالبهم الشرف ويتبجح به بين الأقران، على أن صحة انشرف مظنونة منذ أزمان لأجل ما ذكرنا.

وقد أذكرنى هذا مـا نقله العلامة المؤرخ أو العباس أحـمد بابا السودانى فى كتابه "نيل الابتهاج" من ترجمة أبى عبـد الله محمد بن محمد التلمسانى المقرى، ونصه: ومـنه ما ذكره عنه أنه يحضـر مجلس السلطان ابن عنان لبث العلم، وكان مزوراً الشرفـاء بفاس: إذا دخل مجلس السلطان قام له السلطان وجميع من فى مجـلسه إجلالا له إلا الشيخ المقرى فلا يقـوم معهم: فأحس المزوار من ذلك وشكاه لـلسلطان. فـقـال له السلطان: هـذا رجل وارد علينا نتركـه على حاله حتى ينـصرف: فدخل المزوار يومًـا فقام له السلطان وغـيره على العادة.

فنظر المزوار إلى المقرى. قال له أيهـا الفقيه: ما لك لا تقوم كـما يفعل نصره الله وأهل مجلسه إكرامًا لجدى وشرفى، ومن أنت حتى لا تقوم لى.

فنظر إليه المقرى. فقال له: أما شرفى فمحقق بالعلم الذى أبا أنئه، ولا يرتاب فيه أحد.

وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحتـه منذ أزيد من سبعمائة عام، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار لـلسلطان أبى عنان وأجلساك مجلسه فسكت المزوار ا هـ.

قال العلامة أبو عبـد الله بن الأزرق، وعلى اعتذاره ذلك يكون الشرف الآن مظنونًا إلى آخر كلامه.

وبالجملة فـلهم فى عقد النكـاح مفاسـد يضيق لذكـرها صدر المؤمن، ولنذكـر ما نـعلمه من أمـر الناس اليـوم تذكـيراً للناس (فـإن الذكـرى تنفع المؤمنين).

فمن مثالبهم: النكاح شغارًا، وهو نكاح البضع بالبضع من غير مهر أو به، بمعنى أن هذا يعطى ذاك ابنته أو أخته على أن يأخذ منه ابنته أو أخته: فإذا أنفق فى زفها لزوجها عشرة أنفق الآخر مثله، وتكون كلتاهما معلقة على الأخرى بحيث لو تركت إحداهما دار زوجها تركت الأخرى لها، أو لواحدة المهر دون الأخرى، وذلك نهى عنه رسول الله ﷺ، وفى صحيح البخارى عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ "نهى عن الشغار" والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليسبينهما صداق.

ومن بدعهم نكاح من تحرم عليه من حيث الرضاع: وهذا بدعهم نكاح من تحرم عليه من حيث الرضاع: وهذا كثر فى بلادنا بحيث يعسر حصره، والناس لرقة ديانتهم لا يقلعون، وربما سول لهم إبليس البقاء على ذلك بمعنى أن المذاهب كثيرة، ولا يخلو الأمر من ذلك، وجاهل اليوم قلبه أشد من لحجارة قسوة.

ولقد كذب اللعين فيما سول له: إذ حرمه الأمر مجمع عليها، فمن نكح من تحرم عليه من هذه الجهة فقد زنى بمحرمه.

فقال أبو زيد عبد الرحمن لعبد الباسط: اذكر لنا ما يحرم من الرضاعة وما يحرم من النسب. فقال. أما ما يحرم من النسب فسبعة: وهى المذكورة فى قوله: (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) وكذلك الرضاع يحرم أمهاتكم من الرضاعة وبناتكم من الرضاعة كذلك، وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم من الرضاعة وبنات الأخ من الرضاعة وبنات الأخت من الرضاعة: أى فيحرم الأصول وإن علت، والفروع وإن نزلت.

وأول فصل من كل أصل فقط، ويحرم أيضا فرع الأخت فقط، وأما فرع ما عداهما من الفصول الباقية فلا حرمة نسبا ورضاعا.

واستثنوا من ذلك ست مسائل: وهى أم أخيك أو أختك، وأم ولد ولدك، وجدة ولدك، وأخت ولدك، وأم عمك وعمتك، وأم خالك وخالتك. فهذه وإن حرمت نسبًا: حيث إن أم أخيك أو أختك: إما أمك وامرأة أبيك، وأم ولد ولدك حليلة ابنك، وجدة ولدك أم امرأتك وأخت ولدك. أما بنتك أو بنت امرأتك من آخر. وأم عمك وعمتك. أما جدتك أو امرأة جدك، وأم خالك وخالتك: إما جدتك أو امرأة جدك أبى أمك فلا تحرم لو كانت من حيث الرضاع كما ذكرنا.

ومن بدعهم القبيحة: نكاح المرأة فى عدتها: فتدعى أنها وافت القروء الثلاثة. [القرء: الطهر] كذبا وزورا: أو الثلاثة أشهر التى لليائسة ومن لا تحيض لصغر، وربما قيل لها قولى انقضت عدتى كما سمعت بأذنى من المرأة توصى ابنتها بذلك فيقعد عليها وتنكح فى عدتها.

والمذهب فى ذلك أنه نكاح باطل يفرق بينهما شرعًا ويتأيد تحريمها فلا تحل له أبدًا، وفى الموطأ فى باب جامع ما لا يجوز من النكاح: عن سعيد بن المسيب، وعن سلمان بن يسار أن طليحة الأسدية كانت تحت رشيد الثقفى فطلقها فنكحت فى عدتها فضربها عمر بن الخطاب وضرب زوجها بالمخفقة ضربات وفرق بينهما.

ثم قال عمر: "أيما امرأة نكحت فى عدتها فإن كان زوجها الذى تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما. ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ثم كان الآخر خاطبًا من الخطاب فإن كان دخل بها فررق بينهما. ثم اعتدت بقية عدتها من الأول. ثم اعتدت من الآخر. ثم لا يجتمعان أبدًا".

قال مالك وقال سعيد بن المسيب "ولها مهرها بما استحل منها".

فانظر بعينك ما فعله عمر: حيث ضرب المرأة وزوجها بالمخفقة، وهى الدرة التى تكون بيده، وهى سوط عريض، وفرق بينهما. وقال: "لا يجتمعان أبدًا" إشارة إلى تأييد التحريم.

وتأمل ما عليه ناس الوقت وما غروا فيه مما صورته النكاح، وهو فى الحقيقة زنا بالمحرم.

فلعل من اطلع على هذا ينبه نفسه، ومن يعرفه بذلك، إذ فى وجود الزنا خراب الديار، وقد ورد فى الحديث القدسى "أبا الله لا إله إلا أنا رب مكة أغنى الحاج ولو بعد حين، وأفقر الزانى ولو بعد حين" نقله الشيخ زروق فى نصيحته. وفى بعض الحكم: الغنى والزنا لا يجتمعان فى بيت أبدًا.

ومن بدعهم السعى فى طلاق امرأة من زوجها ليتزوجها الساعى فى ذلك، وهذا فيه ما فيه من الحرمة الغليظة التى هى من أكبر الكبائر. أما سمعت الله يقول (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) تقبيحًا لأمره فى معرض ذكر السحر الذى يتعلمونه من الملكين فتنة حتى قال (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) الآية.

فبان بذلك تغليظ إثم التفريق لأن السحر لا يحرم لذاته، إذ من تعلمه ليتوقاه، ولكليلا يضر به جار، فلا يكون فى حقه حرامًا، وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "من فرق بين المرء وزجه فليس منا" رواه الطبرانى عن معقل بن يسار، وليس هذا فقط بل ليتزوجها: فإذا طلقها منه

تزوجها حبًا لها ورغبة سابقة، والمذهب تأبيد تحريمها عليه، وقد حكى بعض الفقهاء الإجماع على ذلك.

وهذا الفعل الدنيء عندنا فى هذا العصر كاد لا يدخل تحت حصر وعلى ذلك فأولادهم الذين يلدونهم أولاد زنى.

ومن بدعهم خطبة المرأة فى العدة، واختلاط الخاطب بها.

ذلك الأمر أصبح ذائعًا فى عصرنا لما تعلم من طمس بصائر الناس اليوم وإقبالهم على الشهوات والأغراض الفاسدة.

فترى المرأة إذا مات زوجها بمجرد حصول ذلك وكانت صالحة للرجال أسرع إليها من يحرص عليها من الناس قبل خروجها من العدة، وخطبها جهارًا من وليها، ولا تكبر على ذلك، ولا خوف من الله، إذ بصائرهم محجوبة وإذا قبل أمره لديهم دخل عليهم وخرج وأهدى الهدايا وجالس مخطوبته وربما تلذذ بها، وربما عقد عليها قبل خروجها من العدة جهلا بالأمر لحرصه الشديد على ما يشتهى. وإذا تلذذ بها بعد العقد عليها تأبد تحريمها عليه.

بل علمنا أنه يتلذذ بالنظر لأمها ولأختها وبمن تقرب إليها من النساء، وهم لا يرون منعه بدعوى أنه صار صهرًا لهم بمجرد التماسه الزواج بامرأة فى العدة لم تخرج منها، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال "إياكم والدخول على النساء. فقيل يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ فقال الحمو الموت" قيل والحمو أبو الزوج أو الزوجة: أى الموت خير له من الدخول عليها فإذا كان أبوها وأبوه هكذا فكيف بالغير؟.

وأما الخطبة فى العدة مجردة عن الاختلاط فهى حرام: اللهم لا كلامًا بالتعريض كما قال تعالى: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم فى أنفسكم).

ففى الصحيح فى هذا الباب عن ابن عباس (فيما عرضتم به من خطبة النساء" يقول: إنى أريد التزوج ولوددت أنه ييسر لى امرأة صالحة. وقال القاسم يقول: أنك على كريمة، وإنى فيك لراغب، وإن الله لسائق إليك خيرًا، أو نحو هذا.

فانظر بعينك ما ذكره الإمام البخارى فى تفسر التعريض بالنكاح من غير تصريح، والمذهب حرمة المواعدة وكراهتها من أحد الجانبين، ولكن ناس اليوم لا يبرحون حتى يعقدوا عليها فى عدتها، والعقد فى العدة فى المذهب فسخه بغير طلاق ما لم يتلذذ فتحرم أبدًا كما تقدم. قال تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أى حتى تنتهى العدة.

ومن بدعهم كونهم يرون النظر إلى المخطوبة عارًا، وهو ضد ما جاءت به الشريعة المطهرة بالنظر إلى مخطوبته"، ونظر هو ﷺ "كان يأمر من يريد الزواج بالنظر إلى مخطوبته"، ونظر هو ﷺ إلى وجه عائشة لما أتاه جبريل بصورتها فى خرقة من حرير كما فى الصحيح، وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) "قال رجل أنه تزوج امرأة من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: أنظرت إليها. قال لا. فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئًا" أخرجه مسلم والنسائى. قال الغزالى فى الإحياء: بعد سوقه لهذا الحديث: اختفت فى المراد بقوله: شيئًا. فقيل عمش، وقيل صغر، وفى حديث آخر: "أنه ﷺ قال انظر إليها فإنه أحرى أن يدون بينكما".

فانظر بعينك إلى الحديثين الناطقين بأمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى المخطوبة، وقوله في الحديث الأخير "فإنه أخرى أن يدوم بينكما" حيث صرح بسر حكمة الأمر بالنظر، إذ الخاطب متى نظر إلى المخطوبة عرفها تصلح له أم لا.

وفى الغالب أن المرء لا يرضى إلا بما تطمئن إليه نفسه، ويركن إليه خاطره، وأيضًا فى الغالب يقع الفراق بين الزوج وبين المرأة إن لم توافقه حيث لم يرها قبل ذلك.

وليست هذه أول مخالفة ناس الوقت، فإن لهم فى الدين بدعٌ لا تسع ذكرها الأسفار، أعاذنا الله من التغيير والتبديل، حتى نلقاه سالمين من كل ذلك بمنه وكرمه آمين.

ولهذا تجد كثيرًا من الناس اليوم لا يتزوج إلا على طريق السقايات أو الحمامات، أو محل إصلاح الخبز، أو بيعه، لأن بهذه المواضع يتأتى له النظر فى وجه البنات، وكذا بالبادية.

ومن بدعهم الشنيعة فى أمر الزواج أن مريده يسأل عما يملكه أبو الزوجة، وعن سنه، ويتحرى صدق الخبر فى هاتين الجهتين، فإن كان أبوها ذا غنى ويسار، وشيخًا يودع الحياة كل يوم كان محبوبًا ومرغوبًا فيه، أو كما يقولون: كان هو المطلوب، ولو كانت بنته على صورة قرد، أو خنزير، وإن نقص شيء من ذلك قلت الرغبة فيه وفى بنته، ولو كانت كالشمس، أو القمر.

ومن العجيب أيضًا أن تسمع أن أبا الزوجة وأمها يبحثان عن ذى مال وإن اجتمعت فيه عيوب الحياة كلها ليكون لابنتهما بعلا، على حد قول العامة: فلما جاء خاطبًا قال اقرع بفلس. قيل له مد رأسك انبس.

ومن العجب أيضًا أن تسمع أن أبا الـزوجة يبحث عن الخاطب، هل له أم أم لا؟

وكـذلك الخاطب يبـحث عن المخطوبة: هل لهـا أم لا؟ فإن كـان لكل منهما أم تعذر اللقى، وباء كل منهما بالحرمان.

ثم اعلم أن الزواج كما لا يخـفى من سنن الفطرة، ولا غنى لأحد من الناس عنه إلا لعلة من العلل البشرية، وهو مما لا يستغنى عنه فى الحياة الدنيا إلا إذا آن خـرابهـا، وهذا قـريب. بدليل اشـتـغال الـناس عنه اليـوم بالزنا واللواط، ولقد كان من اللائق بأهل الإسلام أن يعطوا الزواج حقه من العناية والتقدير فإن له شعبًا كثيرة، ووجودها مختلفة، وألوانها متنافرة.

أما أهل الصدر الأول، فقـد قدروه حق قدره، والفضل فى ذلك يرجع إلى نبى الأمة وهاديها مولانا محمد ﷺ فقد قال كما فى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة "تـنكح المرأة لمالها ولحسبها ولدينـها ولجمـالها" ثم خص على الاكـتفاء بذات الديـن، فقال "فـاظفر بذات الدين تربـت يداك" فذات الدين لابد أن تكون عـفيـفة، وذات الدين لابد أن تكون حـافظة لبعلهـا فى عرضه وفى ماله، وهى كذلك حريصة على أن تؤدى لأولادها ما يجب عليها لهم من خدمة وتربية وتهذيب، وحريصـة على أن تقوم بما لزوجها عليها من حقوق، وليس يطلب من الزوجة شىء وراء هذا: هكذا كان المسلمون قديمًا.

أما فى هذه الأيـام: فالزواج عندهم بيع وشـراء كما تقـدم لنا، بل هو عندهم من الشئون التى تستعمل فيها الحيل للكسب والغنيمة الباردة.

وبالجملة فالرجل الذى يحب الزواج اليوم يعـرض نفسه لخطر القتل فى كل يوم بسبب مخالفته لهن فى عوائدهن الشيطانية.

ومن مناكرهم الفظيعة أن لا تخرج المرأة اليوم إلا فى أكمل زينتها وأبهى حليها متبرجة تبـرج الجاهلية الأولى. بل أشد من ذلك من صدور عارية وأيد مخضـبة، ووجوه محسنة، أو مشـوهة بالأصباغ والمساحيق الروميـة، وسباق عارية، بجورب: أى تقاشير يزيدها جمالا.

ومن دون ذلك رداءة هفهـاف لا يستـر ما تحتـه ولا بقى حراً ولا برداً، وإنما هو شرك الناظرين، وخدعة المفتونين من أهل الوقت.

وكان من العيـوب قديمًا أن تخرج المرأة من بيت زوجهـا إلى بيت أبيها أو أحد أقاربها خفـية لا يعرفها جار ولا قريب للمبالغـة فى احتجابها، وهى تسير متعثرة لا تهتدى إلى طريقـها، كأن من فى الطريق سيتناولها بيده، شأن العفة والحياء، وأصبح اليوم ما قدمناه.

أمرنا الشـارع ﷺ أن نحافظ كل المتـحفز على نسـائنا لتصـان أعراضنا وتحفظ أنسابنا، وتكون خالصة من شوائب الريب.

أعلمنا أن النساء مـطمح نظر الرجال، ومحل للشـهوة، ومجلبـة للفتنة وآلة لارتكاب المعـاصى، فلم لم نسد باب الفـتنة؟ ولم تكف دواعى الشـهوة بصيانة النساء عن الخروج إلى الأسواق وغيرها.

أما نتفكر قول الرسول ﷺ "ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء" وقيل:

إذا رأيـت أمـوراً منها الفؤاد تفتت

فتش عليها تجدها من النـساء تأتت

ولقد يعلم هذا كل عاقل، ومع هذا نشاهد كثرة النساء كل وقت وساعة

ليلا ونهارًا فى جميع الأسواق والطرقات على الوجه الذى قدمناه، ولا يخفى ما نراه من كل عاهرة وفاسق مما يكدر صفو عيش كل من له أدنى غبرة أو مروءة من المسلمين.

وبالجملة فيجب على كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أن يكون صاحب غيرة وحمية على أهل بيته، فإن الغيرة من الدين، ومن لا غيرة له لا دين له.

قال عليه الصلاة والسلام "ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر، قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: الذى لا يبالى من دخل على أهله، قيل فما الرجلة من النساء؟ قال: التى تتشبه بالرجال".

وكان على (رضى الله عنه) يقول: ألا تستحيون ألا تغارون، يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها. فإذا أردت الخلاص من المضرة فاحترز من أن يخلو رجل أجنبى بزوجتك من أقاربك أو أقار بها لقوله ﷺ "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت" رواه البخارى ومسلم، والحمو هو أبو الزوج، ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوه. وقال أبو عبيدة يعنى فليمت ولا يفعل ذلك، فإذا كانت هذه رواية فى أبى الزوج وهو محرم، فكيف بالأجنبى.

وقال رسول الله ﷺ: "إياكم والخلوة بالنساء، والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه امرأة لا تحل له" رواه الطبرانى.

وأجمع شيء للخلاص من المضرة أن لا تطيع النساء بحال، لقوله ﷺ "ألا هلك الرجال حين أطاعوا النساء". وقال الحسن البصرى رحمه الله: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهواه إلا أكبه الله فى النار. ومعنى الطاعة لها أنها تطلب منه الذهاب إلى الحمامات والعرائس والأعياد والنائحات وزيارة القبور وشراء الرفاق فيجيبها إلى ذلك.

وقال ﷺ: "تعس عبد الزوجة" وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها، فهو عبدها وقد تعس، فإن الله ملكه المرأة، فملكها نفسه، فإذا ملكها نفسه فقد عكس الأمر، وأطاع الشيطان. ومن طاعته لها أن يعلمها أسباب المعيشة المختصة بالرجال، والقراءة الزائدة على الحاجة الدينية والكتابة، والخطابة، والشعر، وغير ذلك، مما يختص بالرجال، ورحم الله القائل:

ما للنساء وللقرا ءة والكتابة والخطابة

هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جناية

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"

وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه: لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير فإنهن إن تركن وما يريدون أفسدن المسالك وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات، وأما المعصومات فهن المعدومات، فيهن ثلاث خصال من اليهود: يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات ويتمعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن.

ولا يخفى على كل مؤمن أن النساء مأمورات بالقرار فى البيوت. قال الله تعالى - وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى - فيجب على كل مسلم أن يمنع زوجته عن الخروج من البيت إلا لضرورة فإن خرجت بإذنه لغير ضرورة كانا عاصيين. قال رسول الله ﷺ "ليس للمرأة نصيب فى الخروج إلا مضطرة، وليس لها نصيب فى الطريق إلا الحواشى، وروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ أنه قال: "المرأة إذا خرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راض بنى لزوجها بكل قدم بيت فى النار" أى ويقاس على الزوج الآباء والأمهات إذا رضيا عنها بذلك. وها أنت ترى حال النساء اليوم لا يخرجن من بيوتهن إلا إذا تبرجن، كان ذلك الخروج لأجل الحمامات أو الأسواق أو غيرهما.

فقال أبو زيد لعبد الباسط: وما معنى التبرج؟ قال هو إذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها، فإن سلمت فى نفسها لم يسلم الناس منها، ولذا قال رسول الله ﷺ "المرأة عورة، فأحبسوهن فى البيوت" وهى بسبب ذلك متعرضة للزنا ساعية فى أسبابه إلى طلابه.

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال: "استعينوا على النساء بالعرى فإن إحداهن إذا كثرت ثيابها وأحسنت زينتها أعجبها الخروج" اهـ

وفى صحيح الإمام مسلم عن أبى هريرة أنَ رسول الله ﷺ قال "صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" اهـ

فمن تأمل بعين البصيرة والاعتبار فيما يقع للنساء من الآفات إذا خرجن لم يأذن لهن بالخروج خصوصًا فى مثل هذا الزمان الذى كثرت فيه البدع والفسوق والعصيان على رءوس الأشهاد.

ولقد تهاون كثير من الناس فى أمر نسائهم حتى إن كل موضع طلبته امرأة أحدهم أذن لها مع عدم التفتيش على الحاجة التى خرجت لأجلها، ولو فتش لوجدها خرجت لأجل الفسوق والعصيان وفساد النسل، إذ ديدنهم صباح مساء هو ما ذكرنا.

ومن ذلك أن المرأة تطلب من زوجها إذا كان عقيمًا أن تزور بعض أضرحة الأولياء بداخل البلاد وخارجها كزيارة أبى اسحاق المولى إبراهيم ابن امغار القاطن بأعلى جبل بجوز مراكش، فيذهب الرجل معها أو يوجهها مع من ليس لها بمحرم، فإذا حلت بتلك الأرض انعزلت عنه إن كانت معه بمحل معد للنساء هناك صورة، ورمبا لا يراها اليوم واليومين وقد وجدت بذلك فسحة عظيمة وحرية جسيمة فى التواصل للزنا على أى وجه كان بذلك الجبل المملوء بفحول ليس لهم شغل إلا اختلاس مثل هؤلاء والتوصل لهن بأدنى باعث.

فيرجع الديوث، وقد حملت عدوته من غيره، فيزين له الشيطان أن ذلك ببركة زيارة ذاك الولى، وما ذاك إلا من بركة تلك النطفة الخبيثة التى ألقيت فى ذلك الرحم الخبيث.

وهذا أمر فشا فى وقتنا هذا وزاد بلة فى مادة المقت والسخط والغضب وانقطاع النسل، على أنه ينبغى للعاقل الغيور إن كان لأهله حاجة من شراء ثياب أو حلى أو غيرها أن يتولى ذلك بنفسه أو من ينوب عنه ولا يمكنهن

من الخروج إذ أن ذلك يفضى إلى المنكر البين الذى يفعله كثير منهن اليوم جهارًا، أعنى جلوسهن على الدكاكين أى الحوانيت بباسطن أصحابها وغيرهم وهم يمدون أيديهم إلى أجسامهن، كأنهن أزواجهن. وترى الصائغ أى التكموتى، ويباع الأساور أى الدمالج من الذهب والفضة والخواتم ونحوها تجتمع النساء حوله وينظر إليهن ويمسك ذراعهن عندما يلبسهن الأساور وغيرها ويضغط على أى عضو شاء منهن.

ولا يخفى ما فى هذا من المفاسد الناشئة عن هذا التهاون الذى ينافى غيرة أهل الإيمان، وبهذا التهاون كثر أولاد الزنا فى الوقت، وبسببهم حل ما ترى، ورجع كل شىء إلى ورا. زماننا كأهله وأهله كما ترى. ومما ينبغى الالتفاف إليه أنه يجب على الرجل أن لا يأذن لزوجته بالخروج إلى الحمام لقوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام" رواه الترمذى مرفوعًا ولقوله ﷺ "الحمام حرام على نساء أمتى" ويقاس على الحمام غيره من المواضع التى يخشى منها الفساد، ولقوله ﷺ "امنعوا نساءكم الحمام إلا مريضة ونفساء".

ولما اشتمل عليه فى هذا الزمان من المفاسد الدنيئة والعوائد الرديئة بدخولهن الحمامات باديات العورات.

وانظر أن الواحدة منهن إذا أرادت الدخول فى الحمام استصحبت معها أفخر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه بعد فراغها من الغسل حتى يراها غيرها من النساء فتقع المفاخرة والمباهاة فتطلب المرأة التى ترى ذلك من زوجها مثل ذلك، وقد لا يكون له قدرة على ذلك فتنشأ المفاسد، وربما كان ذلك سببًا للفراق، أو الإقامة على الشقاق بينهما، وهذا خلاف مقصود الشارع فى الألفة والمودة التى جعلها الله تعالى بين الزوجين.

فإذا أرادت العودة من الحمام إلى بيتها مشت فى الطريق بأحسن ثيابها وحليها وزينتها وعطرها وأضافت إلى ذلك فعلا قبيحًا شنيعًا، وهو أن تقمط ثيابها وتخرج يديها من ردائها وتكشف عن كمين قصيرين واسعين مطرزين بغرائب الطرز، فيرى ساعدها، ثم تعبث بيديها، فيلمع بريق أسورتها الذهبية المعلقة فيهما، ثم تحرك يديها، فيأخذ ذلك بمجامع قلوب الفاسقين، ويؤثر فى سريره المنقين، وتبين ساقيها، وتضرب برجلها على الأرض، فيلتفت إليها الرجال، وتأخذ بمجامع قلوبهم فى الحال والمآل، وهى تتبختر فى مشيها، تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فيفتنون بتلك الزينة فتميل قلوبهم إليها بسبب هذه الزخارف التى ما ألقيت على عود إلا افتتن به كل من يراه.

وهذا خلاف ما نطق به الكتاب العزيز. قال تعالى (وليضربن بخمورهن عن جيوبهن) أى فليرخين خمرهن على أطواق قميصهن ليسترن بها صدورهن وما حولها، والخمر جمع خمار، وهو الثوب المصنوع من القطن أو الكتان أو الصوف.

فالذى يجب على المرأة التى تخرج من بيتها لضرورة أن تدلى جلبابها على وجهها حتى تستره ما عدا عينًا واحدة لما روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رأسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة (ولا يبدين زينتهن) أى يسترن أشياءهن التى هى واسطة فى الزينة: كالحلى وغيره ولا يضعن الجلباب (إلا لبعولتهن) أى لأزواجهن (أو آبائهن) إلى أن قال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قال ابن عباس وقتادة (رضى الله عنهما): كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مشت

لتسمع قعقعة خلخالها ليعلم أنها ذات خلخال، فنهين عن ذلك خوف الفتنة، لأن الرجل الذى تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال، يصير ذلك داعية له زائدة إلى مشاهدتهن، ويوهم أن لهن ميلا إلى الرجال.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن الملاءة: أى الحائك، أو الكساء التى تلبسها النساء اليوم المتخذة من القطن والحرير المصنوع بكمال الزخرفة يأخذ حسنه بالأبصار أدل على محاسن المرأة، وأقوى إلى الداعية من صوت الخلخال المنهى عنه، لأن الخلخال زينة مستورة، والملاءة زينة ظاهرة، ومثلها الخرقة الرقيقة التى تحكى صورة المرأة من ضخامة ورقة خصر إلى غير ذلك مما يستلفت نظر الرجل العفيف إليها، والتأمل فى بدنها ولو كان غافلا.

كيف لا؟ والشيطان مصاحب لها فى جميع حالاتها، إن أقبلت فمع شيطان، وإن أدبرت فمع شيطان. قال مجاهد (رضى الله عنه): إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها، فزينها لمن ينظر إليها، وإذا أدبرت جلس على عجيزيها، فزينا لمن ينظر إليها.

ومن أعظم مكايد النساء اليوم حالة خروجهن للحمامات بإذن أزواجهن أو لغيرها أن إحداهن تدخل للحمام وتخرج منه بسرعة فى زى غير الزى الذى دخلت فيه أولا، وتذهب لمن كان مشغوفًا بها قبل ذلك، وإن لم يكن تصر تحتال على من تأخذ بمجامع قلبه، حتى تظفر بمرادها، ثم بعد ذلك ترجع للحمام وتغتسل، وربما غسلت رأسها فقط إذا ضاق عليها الوقت توهم ذلك الزوج أنها اغتسلت، وربما اعتذرت لزوجها بطول المكث فى الحمام لأجل الازدحام إن لامها على ذلك، وهذا من أعظم الأسباب التى اقتضت كثرة أولاد الزنا اليوم.

وبالجملة: فالمناكر التى تتوصل إليها النساء بسبب الخروج للحمامات يضيق عنها الحصر، وحسبك ما قدمنا. على أنه لا يسمح لها بذلك إلا ديوث، أو من لا دين له.

وقد رأينا من يدعى اليوم القدم فى العلم والحديث، بل حتى من يدعى المشيخة والوصول يسمح لزوجته بالخروج للحمامات ولو البعيدة مع ما هن عليه من الجمال، وكشف أعالى الصدر الأبيض واليدين المخضبتين، وتكرر الخروج فى كل أسبوع مرتين أو ثلاثة. ولا شك أن هذا مما يوقع فى غضب الله.

وسبب هذا من هؤلاء المدعين للعلم، وكذا المرتبة فى المشيخة الاغترار بأزواجهن وحسن الظن بأنهن على شىء من الديانة، والنساء من حيث هن لسن على شىء، بل هن فاسقات، عاهرات، خبيثات، شيطانات، مجرمات، وحسبك ما قال فيهم سيدنا على كرم الله وجهه: حسبما قدمنا [فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات، وأما المعصومات، فهن المعدومات].

وكما نقل صاحب المدخل عن سيدى إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس للنساء نصيب فى الإسلام فانظره تزدد يقينًا.

ومن منا كرهن زيارتهن للقبور، ولا يخفى أن الواجب فى حقهن المنع لما روى البخارى عن أبى يعلى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة، فرأى نسوة، فقال "أتحملنه؟ قلن لا، قال أتدفنه؟ قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات" قال العلامة القسطلانى: واستفهامه عليه الصلاة والسلام منهن استفهام إنكار وتوبيخ على خروجهن، بمعنى أنه لا ينبغى ولا يجوز.

وروى الترمذى أنه ﷺ لعن زوارات القبور. قال العلامة ابن حجر فى زواجره: صريح هذا الحديث أن زيارة النساء للقبور من الكبائر لما فيه من لفهم، فيحمل ذلك على ما إذا عظمت مفاسدهن كما فعل كثير من النساء من الخروج إلى المقابر وخلف الجنازة بهيئة قبيحة جدًا، إما لاقترانها بالنياحة ونحوها، أو الزينة عند زيارة القبور بحيث يخشى منها الفتنة.

وسئل القاضى عياض عن جواز خروج النساء إلى المقابر، فقال لا تسأل عن الجواز، ولكن سل عن مقدار ما يلحقها من اللعن فيه. فإذن يجب على الرجل منع زوجته من زيارة القبور لما يترتب على ذلك من البدع والمحرمات التى يكل السمع منها، فكيف برؤيتها ومباشرتها.

ومن العوائد الفاسدة أنهن اتخذن عادة مذمومة، وهى إذا جاء يوم عاشوراء جعلن الزيارة إلى المقابر فرض عين، وخرجن فى أفخر حيلهن. ومنهن من يخرجن صباح كل جمعة لزيارة القبور، أو نلتطوف على أضرحة الأولياء، وكذا إذا جاء النصف الأول من رجب، فيصرن يتطوفن على أضرحة الأولياء، ويسمونه بيوم أولى أولى هكذا.

ومنهن من تخرج عشية كل جمعة للحضور فى هذه الزوايا المحدثة التى اتخذت شبكة لجمع الدراهم، وهى الزاوية العيساوية، والزاوية الحمدوشية والزاوية الطالبية، والزاوية التهامية، والزاوية الصادقية، والزاوية الغازية وغيرها.

وقد قدمنا أن هذه الزوايا التى حق لها أن تصير دكا، قد اشتملت على ما مفاسد عديدة التى منها اختلاط النساء مع الرجال، وكشفهن لوجوههن

وسطهن، ومحادثتهن مع الأجانب، وملاعبتهن لهم: كأنهم أزواجهن، وكثرة الضحك معهم وغيره مما هو معروف عند كل الناس.

ومن مناكرهن ما يفعله النساء اليوم، بل كلهن فى ركوبهن على هذه العربات: أى الكواشا، أتومبيلات فى الذهاب والرجوع من زيارة القبور. أو من المشى للولائم.

ولا يخفى ما فى ذلك من مس المكارى لهن وتحصينه للمرأة فى إركابها وإنزالها، وربما أركبها بإزائه، وحينئذٍ يجعل يده على فخذها. وربما أركبها وحدها لأجل ما ذكر، فتوصل لغرضه منها بسبب تلك الخلوة التى ظفر بها، وساعده الوقت عليها، فيذهب بها وهى راكبة معه إلى موضع خال من الناس، فيفعل بها ما شاء إما طوعًا أو كرهًا. وإما جعل يده على كتفها، والحالة أن يديها ومعصمها مكشوفان لا ستر عليهما سيما مع ما ينضاف إلى ذلك من الخواتم الذهبية، والأساور مع الخضاب غالبًا، فهذا شىء كثير من لوازم المكارى.

وأما إذا خلا بها وساعده فراغ بعض الأزقة، فلا تسأل عما يكون ولو رأى المسلم ولو أجنينا هذا الفعل الشنيع لأنكره عليهن ومنعهن وسب أزواجهن.

فكيف يراه الزوج أو ذو محرم فيطمئن قلبه ذلك؟ فهذا والله من قلة الدين والانسلاخ من سبيل المؤمنين.

ومن مناكرهن طلوعهن الأسطحة، وهذا أعظم وأشنع مما تقدم لما اشتمل عليه من المفاسد والمحرمات المؤدية إلى اختلاط النسل والعصيان.

وقد تساهل الناس اليوم لهن فى ذلك من غير مبالاة لهم بما سيقع فى السر والجهار، واغترار بصفاء ظاهر حبائل الشيطان، مأوى الفسوق والطغيان، ولو كانت لهم غيرة إسلامية ونخوة إيمانية، لما رضوا بهذا الهوان، المؤدى إلى اختلاط النسل أو العصيان.

وبسبب هذا التهاون أيضًا كثر أولاد الزنا فى الوقت، وحل ما حل بالناس من سخط والمقت، فليجتهد العاقل أن يتخلص من هذه العادة الرديئة، والفعلة الدنيئة، وإياه وحسن الظن بالنساء فى هذا الزمان. فإنه الداء المعضل، والبلاء المذهل فى السر والإعلان.

وتساهل الناس أيضًا فى دخول الفراش للدار والسقاء، وهو القراب، وربما انفردت الزوجة بأحد هذين: أما اليهودى الخياط، وإما السقاء، فيقع ما يقع، وكم دخل على الناس من فساد النسل من هذا الوجه القبيح، وقل من يشعر به.

وكذا تساهل الناس فى وقوف الطحان الذى يريد شراء النخالة بباب الدور، وربما وجدت المرأة فسحة بسبب ذلك فيقع من الفساد ما يقع، سيما وأرباب هذه الحرف كلهم فساق لا إيمان لهم، وكم أوصلتهم هذه الحرف لمقاصدهم التى لا تدرك الأبها.

وزد على هذا ما يحدث من الموظفين لجمع الزبل بالدروب، ولو ذكرت لك بعض ما صدر منهم من اختلاطهم بالأبكار: فضلا عن تمكنهم من نساء ذوات بعل لسمعت العجب، وفى الإشارة ما يغنى عن العبارة.

ولعل بعض الأغمار الأجلاف ممن لهم صور آدمية، وعقول بهيمية، إذا وقف على هذا يقول أن فلانًا قد أكثر من مقالات هى أشبه بالخيالات فمعذور

فى مقالته، وغاية القول فيه. أنه ألعوبة فى يد عدوته، تلعب به كيف شاءت، ومن كان هكذا حاله فكيف يفرق بين الحق والباطل.

وتساهل الناس أيضًا فى دخول الصبيان والمراهقين أصحاب الحرف، لأجل الحرفة التى تتعلمها المرأة. إما صنعة الخياطة أو طرز السروج والسكائر والمنطقة: أى المضمة، وصنعة القيطان والسفيفة والصرمة، وغير ذلك. فيمكن للمرأة أن تتوصل بأحد هذه الحرف لمقصودها من الزنا. إما من هؤلاء الصبيان والمراهقين أو من الرجال بواسطة هؤلاء الصبيان، والرجل لا شعور له بذلك، وغاية ما يظن إذا وجدها مع من ذكر أن ذلك لأجل الصنعة التى بيدها.

ومن هذا القبيل معلم الصبيان لكتاب الله: فلا تسأل ما يكون بزوجته مع كثرة الصبيان والمراهقين الذين يوجههم لداره لأجل الأغراض من السقى وشراء اللحم وغيرهما، وقد شاهدنا من هذا العجب وسمعناه من الثقات.

وتساهل الناس أيضًا فى دخول اليهوديات للديار ومصادقتهن مع الأهل فى العادات، والتعاون فى الأشغال المنزلية على حسب الأوقات، وربما كانت سببًا للمسلمة فى التفرنج والتوصل للزنا، وزد على هذا من المفاسد الخيانات التى تقع من هؤلاء اليهوديات فى محل المسلمين.

وقد حكى بعض الناس: أنه رأى يهودية تعجن خبز مسلم وهى تتمخط بيدها وتعجن، وتأخذ بيدها القمل من رأسها وتقتله بين أظفارها وتعجن ولا تغسل يديها إلى أن فرغت، وهذا دأب جميعهن مع كل من والاهم من المسلمين، ولا مفهوم للإناث اليهوديات، بل الذكور منهم كذلك وأشد.

وانظر هذا مع حال غالب هذا الوقت: خصوصًا تجارة فى مشاركتهم فى التجارة مع اليهود وتداخلهم معهم فيها مداخلة الدم مع اللحم والعظم،

حتى قال عدد من فجارهم: إن كل تجارة خلت من اليهود تعد خسارة، وهذا كله جهل بالسنة المحمدية، وحرام بإجماع المسلمين لما ينشأ عنه من الفساد الذى تقتضيه المباينة الدينية، وهذا أحد الوجوه التى عمت بها البلوى، وضاقت بها صدور ذوى المروءة والتقوى.

وأعظم من هذا معاشرة الرجال لليهود والنصارى، واتخاذهم أخلاء؟ واستحوذ عدد منهم على ضعفاء العقول من المسلمين، وذلك بسبب قلة ديانتهم حتى صار بعض المسلمين المتهاونين فى الدين لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم بكلمة إلا عن رأى يهودى أو نصرانى.

ومن المسلمين اليوم من جعل التصرف فى أمواله كلها لليهود أو النصارى ظنًا منه أنهم ينصحونه وتنمو حركته، وغاب عليه بقلة دينه طعنهم علينا، وتقولهم فى ديننا: فما أقل همة من لا ينفر عنهم بطبعه وجوارحه وقلبه، وما أخس وأخزى من يسمح لهم بقربه. لأن ما من واحد منهم ينظر إلينا إلا ولسان حاله ناطق ببغضنا وسبنا، والطعن فينا وفى ديننا: خصوصًا اليهود، لعنهم الله.

ألم يسمع العاقل قول الله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود).

قال العلامة الجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين لهذه الآية الكريمة ما نصه: مذهب اليهود أنهم يجب عليهم إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم فى الدين، ومذهب النصارى أن الأذى حرام ا هـ.

وقال فى تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم). قوله

تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى فهو من أهل دينهم لأنه لا يوالى أحد أحدًا إلا وهو عنه راض، فإذا رضى عنه رضى دينه فصار من أهل ملته انتهى باللفظ والحرف.

وقد شاهدت عددًا فى وقتنا هذا ممن يدعى الإسلام يواليهم ويوادهم ويؤاكلهم ويباسطهم ويتداخل معهم حتى فى أسرار البيت معتقدًا فيهم أنهم من كمل الأصدقاء، وأى دناءة مثل هذه الدناءة، وأى خسة مثل هذه الخسة، ولكن الأمر كما قال تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات).

وسبب هذا فساد النسل بأحد الوجوه التى ذكرنا، وأما النسل إذا كان طيبًا فمن المحال أن ينحاز لهؤلاء الخبائث.

حكى عن الإمام القيسى رحمه الله أن يهوديًا كان يخدم السلطان أبا عنان المرينى فبلغ بذلك من الطغيان أن غير لبعض الصبيان شيئًا من القرآن، وذلك أنه مر بصبى يستفتى صبيًا فى قوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين).

فقال اليهودى: قل (ومن يبتغ الإسلام دينا) فأسقط الصبى لفظة غير، ولما رجع المعلم للمكتب وسمع الصبى يقرؤها كذلك أنكر عليه. وقال: من قال لك هذا. فقال له الصبى: رجل مر الآن بنا. فقال للصبى قم أرنى إياه، فلم يزل معه يمشى فى الطريق إلى أن لقيه فعرفه، فذهب المعلم من حينه لأستاذ كان السلطان يجود عليه بقراءة السبع فأخبره بالخبر، وكان السلطان يرسل للأستاذ فرسا يأتيه عليها: فلما جاءته ركب وجاءه ولم يذكر له شيئًا من ذلك: فأخذ فى تجويد لوحه فاتفق له أنه كان فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه

منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) فلما قرأها قال له الأستاذ أعد، فأعادها. فقال له: أعد، فأعادها: فلم يزل يعيدها، والأستاذ يقول له أعد: حتى فهم السلطان، ووضع اللوح من يده وقام لصاحب السيف وقال له إن خرجت ولم أجد رأس ذلك اليهودى عن يمين الطريق وجسده عن شماله جعلتك مكانه. ثم رجع لموضعه وأخذ فى لوحه حتى فرغ وقام الأستاذ واتبعه السلطان على العادة، وإذا باليهودى كما أمر. فقال له الأستاذ ما هذا؟ فقال هل على تكريرك الآية: فأخبره حينئذٍ بالخبر.

ونظير هذا ما حكى عن القرافى وغيره: أن الخليفة غضب على الشيخ أبى الوليد الطرطوشى: فأمر بإحضاره عازمًا على عقوبته. فلما دخل عليه الشيخ رأى وزيرًا من الرهبان جالسًا بإزائه. فقال الشيخ ارتجالا:

يا أيها الملك الذى جوده يطلبه القاصد والراغب

إن الذى شرفت من أجله يزعم هذا أنه كاذب

فاشتد غضب الخليفة على الراهب عند سماع البيتين، وأمر بالراهب فسجن وضرب وقتل.

وأقبل الخليفة على الشيخ أبى الوليد وأكرمه وعظمه بعد أن عزم على إذايته.

وهذا الخير العظيم إنما حصل للشيخ والخليفة بسبب استحضارهما بغض الراهب للنبى ﷺ فلم يبال الشيخ بما كان يخشى من غضب الخليفة وأذاه، فوقاه الله وكفاه، وقلب للكرامة قلب الخليفة وأرضاه، ولم يبال الخليفة بما كان فى قلبه على الشيخ من هواه، فقواه الله على نفسه وهداه، وطهره من

قـرب عدو الله ورسـوله، فغـزا فيـه بعـد أن تولاه. فكذلك يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر بنينا مـولانا محمد ﷺ، ويستحضر عظيم عـداوتهم لنا، وطعنهم علـينا فى ديننا. وأن كل كـافـر منهم ولى الشـيطان اللعين، العدو المبين، قد استحوذ عليه فأخذ بعقله، ومجامع قلبه، وقاده من ناصيته، حتى لا يتحرك بحركة، ولا يتكلم إلا عن رأيه.

فيرى كل مؤمن حينئذٍ بنور إيمانه: أن كل يهودى إنما هو إبليس بعينه، فيفر منه بدينه، حتى لا يغتـاله بقربه، من حيث لا يشعر به، وأقرب ذلك أن يتجنب له بشىء من ماله أو أدبه حتى يوقع فى قلبه شـيئًا من حبه، يستوجب بذلك سخط ربه، أو يطعمـه من طريقة أو خمر أو جيـفة أو يدخل عليه ربا فى كسبه.

حكى أن قاضيًـا استعمل يهـوديًا فى أشغاله حين ظن أن تخـديمه من إذلاله. قال وكان يتـصرف فى أشغالى، ويظهر الـنصيحة لى، فأعطيـته يومًا ثيابى فلم آمنه أن يغيب عليها فكـان بين يدى يغسلها وأنا أنظر حتى عرضت لى حاجة، فـخرجت إليها ورجـعت بسرعة فوجـدته فوق ثيابى يبول عـليها فقبضته وضربته ما شاء الله، وتبت عن تقريب جميع أعداء الله.

وبالجملة: فـاليهود أهل غش وخـيانة وخديعـة وعداوة ومكر، ودينهم مـبنى على هذه الأركـان الخمـسـة، ولا يمكن ليـهـودى أن ينسلخ عن هذه الأركان مهما وجد الفرصة فى إيصالها لمسلم أو نصرانى.

وبهذا كان دين اليـهود أخبث الأديان كلها، وأخـسها وأرذلها وأشـقها وأقبحها.

ومما تساهل فيـه الناس اليوم وعدوه من الأخلاق الحـسنة دخول أقارب

المرأة والجيران عليها، وفى ذلك من الدسائس الشيطانية ما لا يخفى على أهل الإيمان. منها أننا بلغنا عن الثقات: أن عددًا من النساء يدخلن الرجال لبيوتهن فى زى النساء ويمكثون عندهن فى بيوتهن اليوم واليومين والثلاثة على الفسوق والعصيان، والرجل ما فى ذهنه من هذا إلا أنها أخت زوجته أو خالتها أو عمتها أو جارتها، وإن لم يكن هذا فيكون نظيره، وهو أن تدخل امرأة ذات سحاق: والسحاق هو استغناء المرأة بالمرأة عن الرجل، وهو نوع من أنواع عمل قوم لوط، ولا يخفى ما يجر هذا من المفاسد فى الدين، وإن لم يكن هذا فيكون تغير أخلاق المرأة على الرجل بسبب تداخلهن فى أحوال الرجال ووسوستهن بما يعود ضرورة على الرجل، وإن لم يكن هذا فيكون ما هو قريب منه، وهو تصرف المرأة فى مال زوجها بغير إذنه ورضاه لأجل هؤلاء الأقارب أو الجيران إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وبالجملة فالناس اليوم فيما يجب عليهم من الاحتياطات تساهلوا، وعن الأهم من ضروريات دينهم أعرضوا، وإلى الأسباب الجالبة لارتكاب المعاصى جنحوا، وهذا حال أهل هذه الحضرة، فكيف بمن فى القرية والبوادى، ولو أردنا أن نذكر لك مساويهم وما هم فيه لطال بنا المقام.

ومما تساهل الناس فيه أيضًا إدخالهم المستخدم المراهق والبالغ للدور واختلاؤه بالزوجة غالب الأوقات خصوصًا حالة سقى الماء فتجد الزوجة بذلك فسحة للزنا، ويكون الديوث أيضًا قد تسبب فى فساد النسل.

وكذا العمل فيمن جعل على باب داره بوابًا ودفع له مفاتيحها: فلا تسأل عما يقع منه من الفساد: بل منهم من يدخل الأجانب على الزوجة المحروسة به صورة.

ويظن الديوث أنه بالغ فى أسباب الصيانة والرفاهية حيث اتخذ بوابًا يحرسه، إلى غير ذلك مما لا ينبغى السكوت عنه.

ومن عوائد أهل الوقت وبدعهم: أنهم إذا خطبت امرأة. قالوا للحاطب زوجناك ثم يعطونها غيره، كثيرًا ما نرى هذا فى بلادنا، ذلك أن الرجل يطلب من آخر زواج من عنده لنفسه أو غيره. فيقول الولى: قد أعطيت، وهذا فى الشرع عقد معتبر كان هناك شهود فى الوقت أم لا؟ إذ الشهود شرط فى صحة النكاح فقط كما عليه المذهب، ولو كان هذا الكلام هزلا، لا جدًا. ففى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة" رواه أبو داود عن أبى هريرة (رضى الله عنه).

ولقد وقع لرجل أعرفه بعد أن أشهد الشهود على النكاح ووقع بينه وبين أبيها إيجاب وقبول، عمد أبوها إلى غيره فزوجها إياه فى غيبته من غير طلاق وقع من الأول، وولد أولادًا من حرام، وعاشت معه مدة على غير عصمة.

ومن بدعهم خطبة الرجل على خطبة أخيه، وذلك أن الرجل إذا أحس أن أحدًا من الناس دعا فلانة لزواجه أو خطبها من أهله ذهب من ورائه إلى وليها أو إليها وخطبها، وهو حرام بلا نزاع، إذ هو من السوم على سوم الأخ كما جاء فى الحديث "لا يسم المسلم على سوم المسلم" رواه مسلم عن أبى هريرة. لكن إذا ركن إلى الأول. أما إذا لم يركن إليه أو كان عاصيًا جاز ذلك كما نص عليه الفقهاء.

لكن أهل هذا العصر ليست هذه لهم فقط: بل حتى فى البيع والشراء

يسوم الرجل منهم على سوم أخيه كثيرًا فيزيد فى المهر، ويزيد فى الثمن ولا حرمة بينهم، والأمر لله الواحد القهار.

ومن بدعهم أخذهم بعض ما أعطوه للمرأة أو كله، قد فشا هذا الأمر عندنا فشوًا عظيمًا. فترى الرجل إذا أمهر امرأته مهرًا وبنى بها تحايل عليها فى أخذه وأخذه منها، وكذلك إذا عزم على فراقها أخذه سرقة أو قهرًا عنها كما نشاهده، وهذا من أكبر الكبائر. قال تعالى (وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا).

فانظر كيف نهى الله عن الأخذ من صداق النساء وشنع على آخذيه حتى قال (أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) أى باهتين آثمين إنما ظاهرًا بينا.

ومن عوائدهم الشنيعة التجاهر بالزنا واللواط. فقد أصبح اليوم الزنا تجارة، والمرشدون انقطعت حيلهم حيث أن البلاد أخذت لقب الحرية فى ارتكاب المناكر، وأرباب الحكم صرحوا لأولات العهر المومسات بإفشاء ذلك وعدم المؤاخذة فيما يصدر منهم فى وجوه تلك المسالك، إلا أن يقصروا فى إعطاء تلك الضرائب الموظفة عليهم من أجل ارتكاب هذه المهالك.

أفبقى للإسلام أيها المسلم اليوم بعد ذلك اسم أو رسم: لقد ضاع وضاع أهله، واأسفاه واديناه، بالله عليك يا دين هل تعيرنى سمعك إن فهمت متأسفًا متوجعًا، أين محبوك، أين ناصروك، أين كرماؤك، أين علماؤك، أين حماتك وشجعانك، ذهب الكل وبقى الذين حياتهم لا تنفع، كنت فى أول الأمر غريبًا فها قد صرت الآن غريبًا وحيدًا، من يقوم بحقك من يأخذ بيدك، من يذود عنك العار.

فيا ويل أهل العصر من ديان يوم الدين، وقد اختلطت غير العاهرة بالرجال، وشاركت المرأة زوجها اليوم فى أمره، وتبرح النساء بالزينة لغير حلائلهن، واختلى الأجنبى بالأجنبية، وجال بجنوده وصال.

فملأت الفاحشة البيوت، وتدنس شرف ذوى الشرف، وأصبح أعرنا اليوم على شفا جرف.

ومن عوائد غالبهم السرقة: وهذه الحرفة قام بها عددًا من الناس اليوم وعظمت فيها الرغبة لكون تجارتها لا تبور، وصار الناس يدخلونها أفواجًا أفواجًا، ولهم فيها رؤساء قائمون بتنظيم شئونهم آناء الليل وأطراف النهار.

فمنهم من رصدوه بالدور، ومنهم بالحمامات، ومنهم بالأسواق، ومنهم بالمساجد، وكل عدد منهم واقف بمركزه الذى عين له بحيث لا يتعداه لغيره.

وبالجملة فلقد فشا فى بلادنا التلصص حتى أصبح المسلم غير آمن على نفسه وماله وعياله.

إذ أحدث الناس اليوم حتى سرقه الصبى والصبية: فضلا عن المال، ولا مفهوم للرجال فى هذه الحركة التعسة بل حتى النساء والبنات لهن القدم الكبير فيها، ومنهن من لا شغل لها ليلا ونهارًا إلا هذه الحركة، وهذه الجرائم قد توالت نوائبها، واستجمعت مصائبها، ولو أن الحكومة أجرت البحث بقوة خارقة للعادة عن اللصوص الذين شاعوا فى الوقت وداخلوا الناس فى حرفهم كدخول الماء فى العود، وحكمت عليهم بحكم الله تعالى، أو بمقاساة ظلمات السجون لاضمحلت هذه الحالة السيئة بالمرة.

وهذه المسألة إحدى الأمور المهمة التى تحتاج إليها هذه الحضرة المراكشية لما لها من الأهمية والاعتبار.

ومن جملة الأمور التى ينبغى الاهتمام بها فى هذه المدينة أن تكون منظمة مضبوطة، لا كما هى عليه الحالة الآن: فإن الحالة الآن بئس الحالة خصوصًا حالة الحسبة التى صارت فى الوقت ملعبة.

بيان عقائدهم

ثم إن الشيخ عبد الهادى قال لعبد الباسط: وما قولك فى عقائد أهل بلدك اليوم؟ فقال غالبهم على أشر عقيدة، إذ منم من قلد الآباء، ومنهم من قلد من أهل العلم من غلب عليه الغرور والفتن كأصحاب الطرق، ومنهم من قلد المفتونين فى دينهم الذين تمسكوا بأباطيل داحضة، وأحدثوا فى الدين ما ليس منه، وادعوا أنهم أئمة وفارقوا سادة الأمة، واختلقوا لهم مذاهب يعلم الله أنها إلى النار، وأنهم هم شر الأشرار.

وبالجملة فغالب الناس اليوم ضالون مفتونون: غير أن بعضهم أضل من بعض، وأشد فتنة:

ثم قال له: وما قولك فى بدعهم ومثالبهم فى العبادات؟

فقال عبد الباسط: أما ما شهدناه منها فكثير لا يدخل تحت حصر، ولكن نذكر لك بعضها، ولنبدأ بالمساجد التى شاهد لها مثالب يأسف لها المؤمن، وما ذاك إلا من رقة ديانة النظار القائمين بشأنها الذين لا رغبة لهم إلا فى جمع الأموال.

وها نحن نرى أحدهم يدخل لهذا الوظيف الدينى، وهو ذو متربة فلا تمضى عليه أعوام إلا وصار ذا ثروة عظيمة، وضياع فخيمة، وما ذاك إلا أنه أحد النصوص الوقتية، والسبب فى قوة الأزمات الزمانية.

ومن أغرب ما يسمع أنك لا ترى واحدًا منهم يصلى فى مسجد من المساجد إلا ما قل وندر، .من كان هكذا فكيف يلتفت للمصالح الدينة؟

نعم: يلتفت لمصالحه الشيطانية من إعطائه لبطنه وظهره منتهاه، ومن فرجه مشتهاه، وهذا الحال قد أدى إلى خرق طاقة صعب سدها، وفتن منزلة عز دواؤها (والفتنة أشد من القتل) بإجماع أهل المروءة والعقل؟

من المناكر التى شاهدناها بالمساجد النوم فيها، ويكثرر ذلك خصوصًا أيام الصيف فتراهم بكثرة، وذلك فيه ما فيه من المضرات، منها خروج الريح فى بيت الله: فتتأذى الملائكة الكرام، وكذا المصلون بذلك، ومنها سيلان الريق من أفواههم حال نومهم مع انخفاض رءوسهم، وذلك يكون من المعدة، وعلامته أنه ماء أصفر منتن، وهو بخس فينجس المسجد، ومنها ما يأخذهم من الحلم فيه، ولذا قال الفقهاء لا يجوز النوم فيه إلا لابن السبيل إذا لم يجد مأوى، وكذلك المعتكف.

ومن عيوبهم القبيحة الشنيعة: استنشاق تبغا الخبيثة فيه، ولكن هذا الفعل الخبيث ما شهدناه إلا من بعض أهل فاس القاطنين بهذه البلدة المراكشية، وقد صارت هذه الغشبة الخبيثة اليهودية ديدن غالبهم ولا يسلم منها إلا النادر، بل جل علمائهم فضلا عن عامتهم يرتكب هذا الفعل الخبيث، وهو منكر غليظ دليل على خراب باطن صاحبه: أنظر فى هذا الموضوع كتابنا [الكشف والتبيان، عن حال أهل الزمان].

ومن عيوبهم البصاق والامتخاط فى المسجد وهذا أحد المناكر الفظيعة.

ومن بدعهم وضع السراويل النجسة بالمنى أو البول فى المسجد وهو حرام، وذلك إذا كانت سراويل الرجل متنجسة بما ذكرنا ينزعها بجواره ويصلى، وقد نص الفقهاء على حرمة ذلك، وكذا كل لباس ما عدا النعل.

ومن عيوبهم القبيحة اتخاذ بعض المساجد مكتبًا لتعليم الأطفال كتاب الله، ولا يخفى أن الأطفال قد يدخلون المراحيض ويخرجون منها حفاة، ثم يدخلون المسجد من غير غسل أرجلهم، والإمام مع كونه ينتسب إلى العلم لا ينهاهم عن ذلك، وكان فى إمكانه أن يتخذ دارًا أو محلا خصًا لتعليمهم غير بيت الله، والله يقول (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) ومعنى ترفع تطهر من النجاسات وتتقدس من كل ما ليس من أمر الدين فى شىء.

ومن مثالبهم تصرفهم فى حصر المسجد، وذلك متى كان لأحدهم جنازة أخذ من حصره ما تحصل له به الكفاية، وهذا لا يجوز خصوصًا وأنهم يلوثون فرش المسجد بأرجلهم وما يتناولون من مأكل ومشروب.

وربما أخذ المؤذن حصير المسجد ففرشها لضيوفه أو أتى بها لقضاء مصلحة عليها خاصة، إذا كان من أصحاب المسجد، وكل ذلك أصله الجهل بالدين وخروج التقوى من الصدور.

وبالجملة فالمناكر التى يرتكبها المؤذنون اليوم فى المساجد وخارجها شىء كثير، ومن أعظمها تعاطيهم لأشياء تقدح فى مروءتهم. منها استنشاق تبغًا وشرب الدخان والتلصص وارتكاب بعضهم المحرمات، وأكل الحشيشة والأفيون وغير ذلك.

ومن مثالب أهل الوقت اتخاذ المساجد دورا للتحدث بالدنيا فيجعلونها مجالس الكلام الدنيوى فترى خاصتهم وعامتهم يتذاكرون فى متاجرهم ومزارعهم وأحوالهم الخارجة عما بنيت له المساجد، وهى إنما بنيت لذكر الله، وقد ورد "إذا تكلم الرجل فى المسجد قالت له الملائكة اسكت يا ولى الله: فإذا تكلم ثانيا قالت له اسكت يا عدو الله، فإذا تكلم ثالثا قالت له

اسكت عليك لعنة الله" وروى البيقهى عن الحسن البصرى مرسلا أن رسول الله ﷺ قال: :يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم فى أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة".

ومن متالبهم اتخاذ المسجد موضع حفلاتهم فى ليالى الشيوخ التى يقيمونها للأولياء أو لقراءة المولد النبوى، ويأكلون ويشربون داخله، وربما حضر النساء فى ذلك، ويتسع إذ ذاك الفساد، ويدخل الصبيان حفاة والشبان والكهول الذين لا دين لهم، لأجل الأكل والشرب حتى يكون المسجد كأنه مرحاض أو أحد القهاوى الوقتية، وربما عمروا هذا المجلس بالانشادات ومزجها بنينى نينى وأنا وأنا ونانا، ويدعون أنهم سلكوا طريق أهل الله، والطريق منهم براء. إذ هى العمل بالشريعة ومن زاغ عن الشرع فهو مطرود، وربما زاد هذا المدعى للمشيخة بالزور والبهتان فى هذا المجلس الرقص والشطح الممزوج بقصائد العشق وما فيه من ذكر الصراحة بأوصاف زينب وسعدى مثلا والتصريح بالصدر والنهد وحور العيون وتكحيلها والمعصم وغير ذلك من التصريحات التى يبعث الشيطان بها بواعثه. وكم كان من مثل هذا فى المسجد الأعظم اليوسفى إلى أن طهره الله على يد بعض ولاة الوقت.

فيا للعجب من جهل الجاهلين، وسكوت العالمين بينهم ولقد أصبح جل الناس اليوم لا يفرق بين الضلال والهدى، وكل ذلك من غرابة الإسلام.

لم يكن فى الحسبان ما وصلت إليه حالة مساجدنا من الانهماك والتلاعب بحرمتها وعدم صيانتها من عبث العابثين، ومن اطلع اليوم على ما يقع فيها صباحًا مساء، ليلا نهارا: من المخازى التى يحمر منها وجه الإنسانية خجلا. أصبح يقلب كفيه على ما آلت إليه معابدنا من الإهمال المشين حتى

إنها صارت مـأوى للسكيرين الذين كتب الله عليهم الشقـاوة فواصلوا بياض نهارهم بسواد ليلهم، لا ينفكون عن معاقـرة بنت الحان، وعندما تدب الخمرة فى أدمغتهم المجوفة دبيـها يأوون إلى المساجد، ولا رادع يردعهم ويمنعهم من الدخول إلى بيوت الله.

فكأننا لـم نكن من أمـة القـرآن، ولم نكن مـن الذين أمـروا أن يأمـر بالمعروف وينهوا عن المنكر. إنا لله وإنا إليه راجعون، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

دخلت مسجداً لأداء فريضة يومًا فألفيت به سكيرا واقفا كالخطيب يعربد ويمطر على المصلين وابل الشتائم: الأمر الذى ترتعد له الفرائص وتشتمئز منه الأنفس فلم أتمالك إلى أن دنوت منه ودفعـته دفعة قوية أوقـعته على الأرض مستلقيا على قفاه، فتقدمت إليـه وسحبته إلى خارج المسجد، فما كان منه إلا أن قام وأخذ ينهـال على بالسباب. شأن كل سكير ضل عـقله وغاب رشده، وجعلت ألاطفه وأذكره بأن شرب الخمر حرام، ولا يجوز له أن يقرب المسجد حتى يصحو ويثوب إليه رشده.

ولكن ما الحيلة؟ كيف يعى لكلامى فاقد العقل، ومن أين له أن يذكر، وأنى له الذكرى؟ فذهب كلامى معه أدراج الرياح.

أطرق رأسه وبعد تفكيـر عميق أجابنى قائلا لم دفـعتنى وطرحتنى على الأرض ثم سحبتـنى وأخرجتنى من المسجد إلى الزقاق، أمـا تعلم أننى عضو فى هذا المسـجد؟ أو ما علمت أننـى حزاب موظف مع هؤلاء الـذين يقرأون القرآن به صـباح مساء، وعندمـا سمعت منه هاته الكلمات الآخـرة أخذ منى العجـب مأخذه، وقلت فى نـفسى ياالله العـجب من أناس يسندون الوظائف

الدينية للذين لا يعرفون لها معنى ولا يقيمون لها وزنًا لا يفرقون بين الحانة وبين الجامع، لبئس ما كانوا يفعلون (فى بيوت أذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه) يعربد السكيرون ويشوشون على المصلين صلواتهم ويمنعونهم من الدخول إليها (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) أليس هذا من عجائب الزمان، أوليس فى هذا إهانة لبيوت الله، والنبى ﷺ يقول "أهان الله قوما أهانوا مساجدهم" فأى إهانة أعظم من هاته: فتسلقت أنظار رؤساء الجمعية الدينية إلى أمثال هذه المناكر التى أصبحت من أكبر المضرات على الدين الحنيف: إذ المسئولية ملقاة على كواهلهم المسئولون عن ذلك.

وبينما نحن فى هذه المسامرة البديعة الشكل البعيدة المرمى، ذات المصلحة العامة شرقًا وغربًا، التى صار يلقيها علينا فضيلة الشيخ عبد الباسط، كان الله له ورضى عنه، وكثر أمواله فى الأمة المحمدية، إذ حان وقت صلاة المغرب فأديناها واشتغل كل منا بورده على مقتضى ما جاءت به السنة المحمدية.

ولا يخفى على كل عاقل أن الاعتناء بالورد يخرج العبد من عالم الحيوانية ويحقق له كمال الإنسانية، ولا يترك الورد الذى رغبت فيه السنة المحمدية إلا سفلة الناس وسقاطهم، ومن لا عقل له ولا ديانة ولا مروءة له ولا خلاق.

والورد عبارة عن ذكر الله تعالى بنحو تهليل وتسبيح وتحميد وصلاة على مولانا رسول الله ﷺ، والاعتناء بالورد الذى أمر به الشارع ﷺ من علامة السعادة الأبدية، والإعراض عنه أو نسيانه فى جل الأوقات لكل خسارة

ورزية، وحسب تاركه قول الله تعالى (ومن يغش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) أى من أعرض عن ذكر الله سلط الله عليه شيطانا لا يفارقه ويزين له العمى، ويخيل إليه أنه على الهدى، وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه). قال: قال رسول الله ﷺ "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت".

وبالجملة فقد ذهب الذاكرون لله بخيرى الدنيا والآخرة فعليك به، وانظر فى هذا الموضوع: كتابنا العظيم الموقع، الغريب فى بابه. [الورد العام، لجميع طوائف الإسلام]: تر العجب، والله الموفق.

وبعد فراغ كل منا من ورده على حسب ما سمح به الوقت استحضر لنا الفقيه أبو عبد الله المذكور الذى نحن بمنزلة طعامًا حسنًا خفيفًا، وبعده تناولنا كئوس الشاى.

الكلام على بقية المناكر

وفى هذه الحالة التفت رب المنزل المذكور إلى الشيخ عبد الهادى وقال له أريد من سيادتك أن تستعطف فضيلة محبنا الشيخ عبد الباسط أن يتمم لنا الكلام على العوائد والمناكر الوقتية، المتعلقة بالأحكام الدينية فقال الشيخ أجل، ونحن أحوج منك إلى سماع هذا منه.

فالتفت إلى عبد الباسط وقال له: ما قولك فى مثالب أهل هذه الحضرة فى الطهارات. قال عبد الباسط: الخرق الآن قد اتسع ولنذكر ما شاهدته فيها: من ذلك الاستبراء، وهو اليوم صار لا يعرف عند غالب الناس، وكاد أن يعمهم التخلق بأخلاق الأوروبيين واليهود فترى الرجل يبول ويستنجى دفعة واحدة بمرأى من الناس كأنه لا يجب عليه استبراء، ولم يدر أن صلاته

تلك باطلة، والأمر لله (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)، ومنهم من يستبرئ بيمينه كما رأيته بعيني ثم بعد ذلك يمسح يده بحائط، ويصير بعد ذلك يتناول بها ما شاء من مس ثياب وأكل ومصافحة وغيرها.

ومن أغرب ما يسمع أن بعض من له مسكة فى العلم استبرأ بيده اليمنى واليسرى آخذ بها طرف سرواله ثم مسحها بالحائط وأراد أن يصافحنى بها لكونى فاجأته بالوقوف بين يديه، ولا علم لى سابقًا بما كان. فقلت له تصافحنى ويدك ملطخة بالبول. فقال ألم يكف فى ذلك مسحها بالحائط، وأمثال هذا كثر، واستوى فيه العالم والجاهل والكبير والصغير، ومن أعجب ما يحكى فى هذا الموضوع: أن الكثير من الناس اليوم خصوصًا الفراعنة منم قد اتخذ سروالا روميا لا يمكنه حالة قضاء الحاجة أن ينسلخ منه كهذه السراويل العربية، وإنما بوسطه ثقب، فإذا دعته الضرورة لا راقة البول أخرج ذكره منه، وبعد فراغه أغلقه باستبراء أو بدونه اقتداء بالنصارى واليهود فى كون البول عندهما ليس بنجس، وربما استبرأ بعضهم واستنجى بالماء على ذلك الحال، ولكن فإنه الاحتياط من سريان البول إلى ثيابه، وبالضرورة يصلها حالة الاستبراء أو حالة الاستنجاء بالماء.

ومن مثالبهم أنهم يستنجون من ميضأة واحدة، وهذا يرى عورة هذا، وهذا يرى عورة هذا، وربما كشف عورته والناس يتوضأون وربما بال عندها، وقد يكون كل من على الميضأة أوجلهم مكشوفى العورة المغلظة ينظر بعضًا، والأمر لله.

وقد بلغنا فى النصيحة كثيرًا، ولكن صاحب النفس الشيطانية يرى الباطل حقًا، والضلالة هدى.

ومن ذلك أيضًا كثرة الفيران وموتها فى الماء، نراها تسكن المرحاض فتدخل وتخرج فى الحياض الصغيرة التى داخل المرحاض للاستنجاء وتدخل النجاسة فى أرجلها والمصلون يجدون العذرة فى الماء: بل وكثيرًا ما تتغير الميضأة فيكشف عنها فإذا فيها فأرميت، وقد تغيرت رائحتها.

وتالله لقد توضأ الكثيرون وصلوا ولم يعبدوا صلاتهم، كل ذلك لرقة الديانة ولم يتخذ المصلون الاحتياطات اللازمة، وقد قال ﷺ "الماء طهور إلا ما غلب على ريحه أو طعمه" رواه الدارقطنى عن ثوبان، وفى حديث آخر "حلق الماء طهورًا لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه"

ولو رأيتهم على الأنهار عراة يقتحمونها عراة فى غيطانهم عراة فى اغتسالاتهم لعلمت حق العلم أن الساعة قريب، ولقد عرفنا من طريق الخبرة أن هؤلاء لم يبارك الله لهم فى أرزاقهم، وفى الحديث "أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

ومن مثالبهم عدم تحريهم فى الاستبراء من البول من البول مع أنه واجب شرطًا بلا كلام، وقد ورد فى الحديث "تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه" رواه الدارقطنى عن أنس، وفى صحيح الإمام البخارى عن ابن عباس قال: "مر النبى ﷺ بقبرين فقال أنهما ليعذبان، وما يعذبان فى كبير. أما إحداهما فكان لا يستبرئ من بوله. وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة" وهو معنى ما رواه مسلم عن الأعمش. فقال [لا يستتيزه] ولابن عباس عساكر [لا يستبرئ]، وقوله [وما يعذبان فى كبير] المراد تصغير ذات الفعل لا تصغير الذنب، 'ذ هما من الكبائر، وقد نص الفقهاء على بطلان صلاة المهمل فى الاستبراء حيث يصلى بالنجاسة.

ومما وقع فيه أكثرهم فأفسدوا صلاته أن يبول فمتى انقطع البول استنجى وقام وفى قصبة الذكر شيء تخلف من البول قد ينزل بعد ما توضأ فيفسد وضوءه وهو لا يشعر، فتكون صلاته باطلة لأمرين: بطلان وضوئه ونجاسة ما أصابه من ثوب أو بدن فيكون من جملة تاركى الصلاة، وهو يظن أنه من المصلين ويعذب فى قبره إلى يوم الدين.

إذن فلتعلم أن الواجب عليك الاعتناء بالطهارة والأداء وملاحظة ما طلب منك الشرع من قبل الصلاة شرطًا أو ركنًا أو أقل من ذلك سنة أو مستحبًا فلأن يرفع عملك إلى الله كاملا خير لك من أن تدعه ناقصًا.

فقد كان السلف الصالح يدققون فى العمل ويتقنون ويخافون، وهم يفعلون ما يؤمرون.

ونحن اليوم على العكس مقصرون وعلى الشفاعة والمغفرة متوكلون، فنحن وسلفنا الصالح متباينون.

إذا علمت هذا فالاستبراء اليوم صار لا يعرف عند غالب الناس، وكاد أن يعمهم التخلق بأخلاق الأوروبيين واليهود حسبما قدمنا.

مثالب الحمامات

ومن مثالبهم دخولهم الحمامات جماعات للاغتسال مكشوفى العورة ينظر بعضهم عورة بعض ويستقبحون الستره، وقد ورد عن سيد الخلق ﷺ أنه قال "لعن الله الناظر والمنظور إليه"، وجاء عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "كنت أنا ورسول الله ﷺ نغتسل من إناء واحد ما رأى منى ولا رأيت منه" فانظر رحمك الله ما وقع مع النبى ﷺ وزجه، مع أن الله يقول: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) والأمر لله.

لقد فشا الجهل فشواً عظيمًا حتى أداهم إلى هذا الحال الذى يتنزه عنه أعداء الدين، ولا مفهوم للرجال فى هذا بل الرجال والنساء فى هذه المثلبة سواء فكما أن الرجال يغتسلون مكشوفى العورة ينظر بعضهم عورة بعض، كذلك النساء اليوم يغتسلن مكشوفات العورة ينظر بعضهن عورة بعض، مع أن المرأة مع المرأة فى ذلك كالرجل مع الرجل سواء بسواء، ما لم تكن المرأة ذات سحاق فنظهرا حتى إلى زوجها حرام.

مثالب الأذان

ومن مثالبهم فى الأذان طلوع المؤذن إلى المنارة بقصد التغنى لا غير: وكثيراً ما يقع هذا فى أذان يوم الجمعة فيروح ويجىء بالتنميط والتغنى والتقطيع فى الصوت، لا يهمه إلا أن يقال أن فلان يعرف الأذان المشرقى، وله صوت حسن، ومنهم من يغنى بالتكبيرة والتسميعة بطريقة المغنيين.

ولا يخفى ما فى هذا من الأمور الخارجة عن الشرع التى حق لمرتكبها أن يزجر بأنواع من الزجر.

مثالب الصلاة

فقال له الشيخ عبد الهادى اذكر لنا مناكر الصلاة ومساويها بأرضكم هذه. فقال عبد الباسط: لقد شاهدت للصلاة من المثالب والعيوب هذه. فقال عبد الباسط: لقد شاهدت للصلاة من المثالب والعيوب ما لا يكاد يمكن حصره، ولكن نذكر منها البعض على حسب ما يقتضيه المقام.

فمن مثالبها إخراجها عن وقتها، وهذا أمر لم يتخلف عنه فى بلادنا عالم ولا جاهل إلا ما قل ونذر.

ولقد تساهل الناس فى شأنها حتى أخروا الصبح لآخر النهار والظهرين والعشاءين لآخر الليل، مع أن تأخيرها عندنا من الكبائر، وفى الحديث "من جمع بين الصلاتين من غير عذر، فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر" رواه الترمذى والحاكم عن ابن عباس.

والأعذار عند السادة المالكية رضوان الله عليهم عشرة: الصبا، والجنون، والكفر، والإغماء، والسكر، والنوم، والغفلة، والحيض، والنفاس، وفقد الطهورين.

فليس من أعذارك أيها المؤمن زرع ولا جمع ولا متجر ولا مرض. قال العلماء (رضى الله عنهم): من كان على أشد حالة من المرض ولو أشرف على الموت، وهو فى عقله وأخرها لقى الله عاصيًا. وقد يسر الله الأمر ولم يحرجنا كما هو شأن الحنفية السمحاء، من فقد الماء أو لم يقدر على استعماله لمرض فليتيم، وكذا من خاف خروج الوقت بالغسل بحيث لو اغتسل من غير تراخ طلعت الشمس فعندنا يتيمم ويصلى ثم يغتسل، وكذلك إذا خاف خروج الوقت بالوضوء ينتقل إلى التيمم، ومن لم يستطع القيام فى الصلاة استقلالا أدى استنادًا والأصلى جلوسًا وإلا فاضطجاعًا كما هو مقرر فى محله عند الفقهاء.

فما بال المؤمن يؤخرها لجلسة الفاسق ويقول فى اعتذاره الكاذب: حبسنى الضيف، حبسنى العمل، حبسنى خدمة شيخى، حبستنى خدمة الأولاد، وكذا وكذا من وجوه الأباطيل المتخلق بها غالب أهل الوقت.

حكم تأخير الصلاة عن وقتها

فالتفت أبو عبد الله إلى الشيخ عبد الهادى. وقال يا سيدى أحب منك أن تبسط لنا الكلام على هذا الموضوع وتذكر لنا حكم خروج الصلاة عن وقتها بأبسط مما ذكره عبد الباسط فأنت أدرى بهذا من غيرك.

فقال عبد الهادى: قال الله تعالى فى كتابه العزيز (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا).

قال الصحابى الجليل ابن مسعود (رضى الله عنه) ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن وقتها. قال إمام التابعين سعيد ابن المسيب، هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء، ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس.

فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغى، وهو واد فى جهنم بعيد قهره شديد عقابه، وقال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ﷺ: "هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وورد فى الحديث عنه ﷺ أنه قال "من ترك صلاة حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبًا، والحقب ثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم ألف سنة مما تعدون"، وهذا الحديث أخرجه صاحب روح البيان فى تفسيره. هذا حكم تأخير الصلاة عن وقتها، فكيف حال من تركها بالكلية؟ وحسبك أنه كافر.

وقال شيخ الإسلام شمس الدين أبن القيم الجوزية فى كتاب الصلاة: وأحكام تاركها ما نصه: وأما الصورة الثانية، وهى ما إذا ترك الصلاة عمدًا

حتى خرج وقتها، فهى مسألة عظيمة تنازع فيها الناس، هل ينفعه القضاء ويقبل منه أم لا ينفعه، ولا سبيل له إلى استدراكها أبدًا؟.

فقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد ومالك يجب عليه قضاؤها ولا يذهب القضاء عنه إثم التفويت، بل هو مستحق للعقوبة إلى أن يعفو الله عنه.

وقالت طائفة من السلف والخلف من تعمد تأخير الصلاة عن وقتها من غير عذر يجوز له التأخير، فهذا لا سبيل له إلى استدراكها ولا يقدر على قضائها أبدًا ولا يقبل منه، ولا نزاع بينهم أن التوبة النصوح تنفعه ولكن هل من تمام توبته قضاء تلك الفوائت التى تعمد تركها، فلا تصح التوبة بدون قضائها أم لا تتوقف التوبة على القضاء؟ فيحافظ عليها فى المستقبل ويستكثر من النوافل. وقد تعذر عليه استدراك ما مضى، هذا محل الخلاف.

ونحن نذكر حجج الفريقين. قال الموجبون للقضاء لما أمر النبى ﷺ النائم والناسى بالقضاء، وهما معذوران غير مفرطين فإيجاب القضاء على المفرط العاصى أولى وأخرى، فلو كانت الصلاة لا تصح إلا فى وقتها لم تنفع قضاؤها بعد الوقت فى حق النائم والناسى. قالوا وقد صلى الله عليه العصر بعد المغرب يوم الخندق هو وأصحابه.

ومعلوم قطعًا أنهم لم يكونوا نائمين ولا ساهين عنها، ولو اتفق النسيان لبعضهم لم يتفق للجميع. قالوا: وكيف يكون المفرط بالتأخير أحسن حالا من المعذور؟ فيخفف عن المفرط ويشدد على المعذور. قالوا وإنما أنام الله سبحانه وتعالى رسوله والصحابة ليبين للأمة حكم من فاتته الصلاة، وأنها لا تسقط عنه بالتفويت بل يتداركها فيما بعد. قالوا: وقد أمر النبى ﷺ من أفطر بالجماع فى رمضان ناسيًا أن يقضى يومًا مكانه. قالوا: والقياس يقتضى

وجوب القضاء، فإن الأمر متوجه على المكلف بفعل العبادة فى وقتها فإذا فرط فى الوقت، وتركه لم يكن ذلك مسقطًا لفعل العبادة عنه.

قال الآخرون: أوامر الرب تبارك وتعالى نوعان: نوع مطلق غير موقت، فهذا يفعل فى كل وقت، ونوع موقت بوقت محدود، وهو نوعان: أحدهما ما وقته بقدر فعله كالصيام.

والثانى ما وقته أوسع من فعله كالصلاة، وهذا القسم فعله فى وقته شرط فى كونه عبادة مأمورًا بها، فإنه إنما أمر به على الصفة فلا تكون عبادة على غيرها، قالوا فما أمر الله به فى الوقت فتركه المأمور حتى فات وقته، لم يمكن فعله بعد الوقت شرعًا، وإن أمكن حسابه بل لا يمكن حسابه أيضًا، فإن إتيانه بعد الوقت أمر غير المشروع. قالوا ولهذا لا يمكن فعل الجمعة بعد خروج وقتها. ولا الوقوف بعرفة بعد وقته. قالوا ولا مشروع إلا ما شرعه الله ورسوله، وهو سبحانه ما شرع فعمل الصلاة، والصيام والحج إلا فى أوقات مختصة به، فإذا فاتت تلك الأوقات لم تكن مشروعة، ولم يشرع الله سبحانه فعل الجمعة يوم السبت، ولا الوقوف بعرفة فى اليوم العاشر ولا الحج فى غير أشهره.

وقد أطال هنا الكلام هذه الفرقة إلى أن قال حاكيًا عنها: فتقول لمن قال أنه يستدركها بالقضاء أخبرنا عن هذه الصلاة التى تأمر بفعلها هى التى أمر الله أم هى غيرها؟ فإن قال هى بعينها، قيل له فالعامد بتركها حينئذٍ ليس عاصيًا لأنه قد فعل ما أمر الله به بعينه، فلا يلحقه الإثم والملامة، وهذا باطل قطعًا.

وإن قال ليست هى التى أمر الله بها، قيل له فهذا من أعظم حججنا عليك إذا ساعدت أن هذه غير مأمور بها.

ثم نقول أيضًا ما تقولون فيمن تعمد تفويتها حتى خرج وقتها، ثم صلاها أطاعة صلاته تلك أم معصية؟ فإن قالوا صلاته طاعة وهو مطيع بها خالفوا الإجماع والقرآن والسنة الثابتة، وإن قالوا هى معصية قيل فكيف يتقرب إلى الله بالمعصية، وكيف تنوب المعصية عن الطاعة.

فإن قلتم هو مطيع بفعلها عاص بتأخيرها، وهو أنه إنما تقرب بالفعل الذى هو طاعة، لا بالتفويت الذى هو معصية.

قيل لكم الطاعة هى موافقة الأمر وامتثاله على الوجه الذى أمر به فأين أمر الله ورسوله ممن تعمد تفويت الصلاة بفعلها بعد خروج وقتها حتى يكون مطيعًا له بذلك، فلو ثبت ذلك لكان فاصلا للنزاع فى المسألة.

قالوا وأيضًا فغير أوقات العبادة لا يقبل تلك العبادة بوجه كما أن الليل لا يقبل الصيام، وغير أشهر الحج لا يقبل الحج، وغير وقت الجمعة لا يقبل الجمعة.

فأى فرق بين من قال أنا أفطر النهار وأصوم الليل، أو قال: أنا أفطر رمضان فى هذا الحر الشديد، وأصوم مكانه شهرًا مكانه شهرا فى الربيع، أو قال أنا أؤخر الحج من شهره إلى المحرم، أو قال أنا أصلى الجمعة بعد العشاء الآخرة أو أصلى العيدين فى وسط الشهر، وبين من قال أنا أؤخر صلاة النهار إلى الليل وصلاة الليل إلى النهار، فهل يمكن أحدًا قط أن يفرق بين ذلك.

قالوا وقد جعل الله سبحانه للعبادات أمكنة وأزمنة وصفات فلا ينوب مكان عن المكان الذى جعله الله مكانًا ميقاتًا لها كعرفة ومزدلفة ومنى ومواضع الجمار والمبيت والصفا والمروة، ولا تنوب صفة من صفاتها التى

أوجبها الله عليها عن صفة، فكيف ينوب زمان عن زمانه الذى أوجبها الله فيه.

قالوا وقد دل النص الإجماع على أن من أخر الصلاة عن وقتها عمداً أنها قد فاتته كما قال النبى ﷺ "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله" وما فات فلا سبيل إلى إدراكه ألبتة، ولو أمكن أن يدرك لما سمى فائتًا وهذا مما لا شك فيه لغة وعرفًا، وكذلك هو فى الشرع. وقد قال النبى ﷺ "لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من يوم عرفة" أفلا تراه جعله فائتًا بفوات وقته لما لم يمكن أن يدرك فى يوم بعد ذلك اليوم، وهذا بخلاف المنسية، والتى نام عنها، فإنها لا تسمى فائتة، ولهذا لم تدخل فى قوله "الذى تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله".

قالوا: والأمة مجمعة على أن من ترك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها فقد فاتته، ولو قبلت منه وصحت بعد الوقت لكان تسميتها بذلك لغواً وباطلا وكيف يفوت ما يدرك؟

قالوا: وكما أنه لا سبيل إلى استدراك الوقت الفائت أبداً، فلا سبيل إلى استدراك فرضه ووصفه.

قالوا وهذا معنى قوله ﷺ فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره "من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر" فأين هذا من قولكم يقضيه عنه صيام يوم من أى شهر أراد؟

قالوا: وقد أمر الله سبحانه المسلمين حال مواجهة عدوهم أن يصلوا صلاة الخوف، فيقصرون من أركانها ويفعلون فيها الأفعال الكثيرة، ويستدبرون فيها القبلة، ويسلمون قبل الإمام، بل يصلون رجالا وركبانا حتى

لو لم يمكنهم إلا الإيماء أتوا به على دوابهم إلى غير القبلة فى وقتها، ولو قبلت منهم فى غير وقتها وصحت، لجاز لهم تأخيرها إلى وقت الأمن وأمكن الإتيان بها.

وهذا يدل على أنها بعد خروج وقتها لا تكون جائزة ولا منقولة منهم مع هذا العذر الذى أصابهم فى سبيله وجهاد أعدائه، فكيف نقبل وتصح من صحيح مقيم لا عذر له ألبتة وهو يسمع داعى الله جهرة فيدعها حتى يخرج وقتها ثم يصليها فى غير الوقت.

وكذلك لم يسمح فى تأخيرها عن وقتها للمريض بل أمره الشارع أن يصلى على جنبه بغير قيام ولا ركوع ولا سجود، وإذا عجز عن ذلك ولو كانت تقبل منه، وتصبح فى غير وقتها لجاز تأخيرها إلى زمن الصحة.

فأخبرونا أى كتاب أو سنة أو أثر عن صحابى نطق بأن من أخر الصلاة وفوتها عن وقتها الذى أمر الله بإيقاعها فيه عمدًا يقبلها الله منه بعد خروج وقتها، وتصبح منه وتبرأ ذمته منها، ويثاب عليها ثواب من أدى فريضة فى وقتها.

هذا والله ما لا سبيل لكم إليه ألبتة حتى تقوم الساعة انتهى منه باللفظ والحرف.

فاعلم هذا المذهب واعمل عليه فإنه الحق المبين والصراط المستقيم.

حكم أكل أموال الظلمة ونحوهم

ثم قال الشيخ عبد الهادى بعد هذا. وقد سئل الإمام مالك (رضى الله عنه) عن أموال أهل الظلم والحرابة والتعدى وتارك الصلاة هل يؤكل أم لا؟.

فأجاب أن أموالهم حلال تؤكل بالسرقة والغضب

وروى عن على (رضى الله عنه) أنه قال: كلوا أموالهم بقدر طاقتكم عليها بالإيجاب والقهر وإلا فبالسرقة. وقال ابن القاسم وابن وهب وسحنون: أن ترك أحد الفرائض من غير عذر تؤكل أمواله شرعاً ويقتل بعد المطالبة أن امتنع، قال الباجى وابن شاس: تؤكل أموال أهل الحرابة بإذن الإمام وبغير إذنه: انظر هذا الموضوع فى منتخب الأحكام، وفى المعيار، وفى ابن يونس.

ولما انتهى الدرس إلى هنا، قال عبد الله المراكشى للشيخ عبد الهادى جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فمثلك من يعظ عامة المسلمين وخاصتهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وينشر فيهم الأوامر القرآنية.

مثالب الصلاة

ثم قال الشيخ عبد الهادى لعبد الباسط: أتمم لنا تلك العوائد والبدع فقال عبد الباسط: ومن عوائد غالب أهل زماننا هذا ترك الصلاة بالمرة، ولا أظن أنه كسل منهم: بل اعتقاد أنها ليست من الدين، ولربما سخروا من فاعليها وهزئوا به، ولا سيما من تخرج من هذه المدارس الوقتية ودرس كتب الفلسفة: فإنه أشد سخطًا على المصلين، وأسرع تجاهرًا بعداوته للدين.

ومن بدعهم نقر الصلاة نقرًا، لا يتمون حركاتها ولا سكناتها، وذلك مبطل لفعلها، ففى صحيح الإمام ابخارى عن أبى وائل عن حذيفة "أنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته. قال له حذيفة ما صليت" قال: أى الراوى أبو وائل وأحسبه قال "ولو مت على غير سنة محمد ﷺ"، وفيه أيضًا عن أبى هريرة (رضى الله عنه) "أن النبى ﷺ دخل

المسجد فدخل رجل فصلى. ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد النبى ﷺ السلام: فقال ارجع فصل فإنك لم تصل، فصلى: ثم جاء فسلم على النبى ﷺ: فقال ارجع فصل، إنك لم تصل ثلاثًا. فقال: والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى. فقال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما. ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها"، وروى أبو القاسم الأصبهانى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال "إن الرجل ليصلى ستين سنة وما تقبل له صلاة: لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع". والطمأنينة وهى استقرار الأعضاء فرض عند الفقهاء من أئمتها من أئمتها المالكية، من تركها بطلت صلاته.

قال الإمام ابن الجوزى: فى تلبيس إبليس: ما نصه، وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات، وذلك أكثر أسباب هلاكهم.

فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة: فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه، ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ؟.

ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم، وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة: فترى الرجل يعيش ستين سنة يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون، ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات، ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هونا بالدين، ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد. ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام،

ويسجد قبل الإمام، ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن: فإذا رفع قبله فقد خالفه فى ركعتين فبطلت صلاته.

وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام، وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء، وذلك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاتهم باطلة، وربما ترك أحدهم فريضة وزاد نافلة، وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب، وربما كان فى يده خاتم قد حصر الإصبع فلا يديره وقت الوضوء، ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه ا هـ.

وعدم إتمام هؤلاء للركوع والسجود وقلة الطمأنينة فى جميع الأركان أحد الوجوه التى عمت بها بليتهم، وعظمت منها خطيئاتهم وأفسدت عليهم الصلاة وأحلت عليهم غضب الله.

وها أنت ترى غالبهم ينقر صلاته نقر الغراب فتكون صلاته فاسدة مع ما يترتب عليها من الوزر. قال ﷺ "لا ينظر الله إلى عبد يوم القيامة لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده". وقال ﷺ "شر الناس سرقة الذى يسرق من صلاته" أى لا يتم ركوعها ولا سجودها. يصلى الإمام أو الفذ ولا يهمه إلا عدد الركعات لا غير، أما الفاتحة فقول سريع لا ينطبق على القراءة، وأما السورة فكلمة أو كلمتان، ولا يمكننى أن أصف حال الإمام فى سرعته، وهذا غالب حال أئمة المساجد اليوم، ولو شئت أن أقول لك بل كلهم لما قلت زوراً، وفى صحيح الإمام البخارى (رضى الله عنه) "لما اشتكى بعض الأصحاب من طول قراءة معاذ بن جبل حيث صلى بهم العشاء بالبقرة أو النساء أمره رسول الله ﷺ أن يخفف وقال له اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها أو الليل إذا يغشى، وقال له أفتان أنت يا معاذ"، وقد

ثبت كما فى كشف الغمة أن عمر بن الخطاب طول يومًا فى الصبح القراءة فما انصرف حتى كادت الشمس تطلع. فقال له المصلون يا أمير المؤمنين تطلع الشمس. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين.

فانظر عنايتهم بالدين الذى تهاون به أئمة المساجد اليوم.

ثم إنى لم آمرك بطول يمل الناس إن كنت إمامًا بهم، إذ أنت مأمور من قبل الرسول بالتخفيف، ولكن تخفيفًا غير مجحف بحق القراءة والصلاة. ففى الحديث الشريف "إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء" والتنطع الصادر من بعض الطوائف اليوم بهذه الحضرة المراكشية مخرج عن العرض المراد، ومع كونهم يدعون أنهم مالكيون بل منهم من لا يتقيد بمذهب، ويدعون التعبد بالسنة، ويسبون المقلدين للأئمة.

ومن ذلك استعمالهم للقبض فى الصلاة الفرضية وذكر البسلمة جهرًا قبل الفاتحة فى الصلاة الليلية وغير ذلك من مخالفتهم للمذهب المالكى وهؤلاء فى الحقيقة أعداء المذهب، وعدو المذهب كاد أن يكون عدوًا للدين من جهة تضليله للإمام بزعمه أنه يعمل بالسنة، وهى سنة القبض وكذا وكذا.

قال الإمام الشاطبى فى الاعتصام: حكى عن أحمد بن حنبل، أنه قال إذا رأيت الرجل يبغض مالكًا. فاعلم أنه مبتدع، وهذه غاية فى الشهادة بالاتباع، وقال أبو داود أخشى عليه البدعة، يعنى المبغض لمالك. وقال ابن مهدى: إذا رأيت الحجازى يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت أحدًا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة. وقال إبراهيم بن يحيى بن

هشام: ما سمعت أبا داود لعن أحد قط إلا رجلين: أحدهما رجل ذكر أنه لعن مالكًا، والآخر بشر المريسى ا هـ.

قال إمام المالكية فى وقته: أبو عبد الله الخطاب فى شرحه لمختصر الشيخ خليل نقلا عن ابن سهل. أنه قال: كل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه، وزين له سوء عمله، فقد رأيت فى أقاويل الفقهاء ورأيت ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم أر مذهبًا أنقى ولا أبعد من الزيغ من مذهب مالك ا هـ منه.

ومن مثالبهم التى هم فيها واقعون عدم إحسانهم لقراءة الفاتحة وعدم مراعاتهم حروفها وتشديدها فتجد أحدهم يخطفها خطفًا ويكاد أن لا يبين منها حرفًا مع أنه متى اختل شرط من شروطها التى من جملتها مراعاة الحروف والتشديدات لم يصح فتبطل الصلاة.

والمشهور من المذهب أن الإمام اللحان لا تصح الصلاة خلفه، قيل مطلقًا فى الفاتحة وغيرها، وقيل فى الفاتحة فقط، ومن اللحن عدم التمييز بين الضاد والظاء، وإلى هذا أشار الشيخ خليل بقوله: وهل بلا حن مطلقًا أو فى الفاتحة وبغير مميز بين ضاد وظاء خلاف.

ومن مثالبهم القبيحة: وهو مما يكثر وقوعه من كثير منهم أن يصلى أحد الناس منفردًا عن الصفوف وحده، وهذا مكروه مفوت لفضيلة الجماعة فلا يحصل لمن فعله من ثوابها إن كان فى أحد الصفوف فرجة وإلا فمعذور، ونقل الفشنى فى تحفة الإخوان ما نصه: روى الترمذى فى نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون (رضى الله عنه). قال فى آخره "يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة

وجهه عن حوضى يوم القيامة". قال الفشنى: ومن ترك السنة والرغبة عنها كمن يمتنع من تسوية الصفوف والرص فيها. وقد تساهل الناس فى هذه السنة وأماتوها بالكلية، وذلك سبب موت قلوبهم، ووقوع الحسد والحقد والعداوة بينهم كما دلت عليه السنة. نسأل الله تعالى العافية ا هـ.

ومما يحصل منهم كثيرًا أن يقتل الرجل أو المرأة عند لسع قملة إياه أو برغوثًا وتبقى قشرة المقتول فى ذلك الثوب أو على الظفر أو بين أصابعه حتى يصلى بها، وذلك مبطل للصلاة، ومن حقق النظر فى أحوال الناس اليوم يجد الكثير منهم يصلون صلاة فاسدة بسبب عدم التحرز من النجاسات السارية لهم حتى من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات فى حركاتهم وسكناتهم وخلواتهم وجلواتهم.

ومما عمت به البلوى، وعظمت بسببه الرزية التى أفسدت صلاتهم، وأحلت على مرتكب ذلك غضب الله انتقالهم للتيمم بلا موجب شرعى، لم ترى الواحد منهم ربما حصل له أدنى جرح أو دمل أو جرب ونحو ذلك أو مسه ألم خفيف فى بدنه ينتقل للتيمم. على أن الفقهاء اشترطوا أن لا ينتقل للتيمم إلا بأحد شيئين: الضرر بغسل الصحيح وقلة الصحيح جدًا كيد أو رجل، فإذا كان الصحيح من الجسد هو الأكثر فلا يتيمم بحال بل يجعل جسيرة على ذلك العضو الذى به جرح أو دمل ونحوهما، ويمسح عليها. ويجب غسل ما سواها من أعضاء الوضوء: فإن أعرض عما ذكره وانتقل إلى التيمم بطلت صلاته.

ولكن هؤلاء لا يعتبرون الدين، وإنما يعتبرون ما يوافق هواهم ولو أداهم إلى ما فيه غضب الله وسخطه.

ولما كان الواقع هو متابعة الهوى فى كل شىء سلط الله عليهم من لا يرحمهمز

ومما عمت به البلية أيضًا وفسدت به صلاتهم عدم ستر عورتهم ما بين السرة والركبة فى الصلاة، وذلك ما بين محتزم وغير محتزم، فالمحتزم تراه مشمرًا ثوبه حتى تكون ركبته مع فخذيه مكشوفة، ويصلى كذلك فتكون صلاته باطلة، وغير المحتزم يكون طوقه مفتوحًا أو كمه واسعًا بحيث ترى من أحدهما عورته لغيره ولنفسه إذا ركع: فتبطل صلاته أيضًا، إذ الواجب سترها حتى عن نفسه فى الصلاة، فيجب على من كان محتزمًا أن يرخى من ثوبه ما يستر ركبته لتحقق ستره فخذه، وإلا لم تصح صلاته، وعلى من كان ذا طوق أو كم مفتوح أن يحتزم، وكذا إذا كان ثوبه مخرقًا من فوق فخذه أو تحت سرته أو من ظهره مما يقابل ما تحت السرة بحيث يبدو منه ولو يسيرًا من البشرة فلا تصح الصلاة، ولابد من ستره. ومما وقع فيه النساء من ذلك أن تصلى إحداهن وبعض ساعديها مكشوف أو قدميها، وربما كان لباسها لا يبلغ عقبها فيكون مكشوفًا، وذلك مما لا تصح به الصلاة، إذ جميع بدنها فى الصلاة عورة إلا الوجه والكفين حتى باطن القدمين إذا انكشف شىء منه ولو فى سجودها بطلت صلاها إلا عند أبى حنيفة (رضى الله عنه).

فلا يغتفر لها عندنا معشر المالكية كشف شىء من البدن مطلقًا، ولو كانت فى خلوة إلا وجهها وكفيها فقط: فإن انكشف شىء من عنقها أو ساعدها أو من عقبها أو بطن قدمها فى أثناء الصلاة بطلت، وإن دخلت فيها وشىء من ذلك مكشوف لم تنعقد رأسًا، والساتر إذا كان لا يستر اللون لا يغنى فى الستر شيئًا، ومن لم ينبه زوجته وعياله على ذلك ويحثهن عليه كان

عليه من الإثم ما عليهن فى عدم الصلاة، إذ صلاتهن هذه كالعدم فكأنهن لم يصلين.

ومن البلوى التى عمت غالبهم الغفلة عن معاطف البدن فلا يصل إليها ماء الغسل فتبقى جنابتهم على حالها إذ متى بقى ولو قدر الخردلة من البدن لم يصله الماء فالجنابة بحالها، وذلك فى الغسل من نحو الكوز أو الإبريق يصب الماء على رأسه فلا يصل إلى صماخى الأذن وما تحت الإبطين ولا تحت الذقن، وربما كان واقفًا ضامًا فخذيه فلا يصل الماء إلى الدبر وما حوله، وكثيرًا ما يكون فى السرة وسخ منعقد ولو قليلا يمنع وصول الماء إلى ما تحته فلابد من تعهد جميع ذلك حتى لا يبقى شىء منه بلا غسل وإلا لم يصح غسله.

ومن المغتسلين فى المغاطس والحمامات من يضع إصبعه فى أذنيه أو يديه على رأسه مع التحامل ويغطس فلا يصل الماء إلى ما تحتهما. ثم لا يلتفت إلى غسل لك بعد فهو باق على جنابته أيضًا ما لم يغسله.

وجميع ما ذكر فى الوضوء والغسل للرجال يجرى فى النساء، ويزدن بأنه يجب عليهن نقض: أى حل ضفائر شعرهن إن لم يصل الماء إليها إلا به وبالاسترخاء يسيرًا عند غسل ما تحتها.

ومما ضلوا فيه وحل به علهيم غضب الله تأخير الصلوات عن أوقاتها حسبما قدمنا، فيجمع الواحد منهم الظهر والعصر بل المغرب والعشاء ويصليها جميعًا مرة واحدة مع أن من الكبائر تأخير الصلاة ولو واحدة حتى يخرج وقتها لا عذر شرعى، وقد ورد فى الحديث "الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين". وقال ﷺ "من حافظ على الخمس صلوات بكمال

طهورها ومواقيتـها كانت له نورًا وبرهانًا يوم القيامة، ومن ضيـعها حشر مع فرعون وهامـات" . وقال ﷺ "من صلى صلاة لوقتهـا وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتنى" .

ومما وقعوا فى ورطتـه ولم ينتبهوا له أن الرجل منهم يمـر على البهائم وهى تبول أو تروث فيصيبه منها شىء ولو قليلا يدركه البصر فيستخف به ولا يغسـله بل يصلى متلوث البـدن أو الثوب فـتكون صلاته باطلة، وإذا أفـضى الأمر إلى غسـل نجاسة إن كانت فى بدنه غـمس عضوه فى ماعـون وأخرجه مكتفيًا بذلك مع أنه قد يبقى شـىء فيه، أو فى ثوبه صب عليه الماء ثم عصره ولا يفتش فيه مع أنه ربما كانت فيه النجـاسة باقية، وهذا من الغفلة الكبرى: إذ بذلك يبقى المحل على نجاسته لا تصح معه صلاة.

فالواجـب عليه ن يتـفقد الـنجاسة فـإن كانت حكـمية لا وصف لـها كرشاش بول كفاه تعميم موضعها بالماء، وإن كانت عينية ولها جرم أزاله أو لا بحك أو نحوه ثم صب عليـه ما يغمرها من الماء فإن زالت به فـقد طهر وإلا أن بقى أعاد الغسل واستعان بالحك والصابون فإن زال وإلا عفى عنه.

ومما عمت به البلوى فى الوضوء: أن لا يستوعب المتوضئ منهم العضو المغسول بالغسل، وهو الوجه من منبت شعر الرأس إلى منتهى اللحيين طولا، ومن الأذن إلى الأخرى عـرضًا، واليـدان من رءوس الأصابع إلى المرفـقين، وهما مفـصلا العضد والذراع فـيبقى شىء من هذه الأعضـاء بلا غسل لعدم سيـلان الماء عليه فلا يتم الوضـوء فتكون الصلاة التى يصلـيها فاسـدة، وقد يعمم الشخص العضو كله بعضه بالغسل وبعضه بالمسح. فتجب المحافظة على

سيلان الماء على كل أجزاء الأعضاء حتى لا يبقى منها ولا قدر السمسمة بلا ورود الماء عليه.

ومن جملة ذلك ما تحت الأظفار من الأوساخ المتجمدة المانعة من إيصال الماء إلى البشرة، سيما إذا عظمت الأظفار وطالت كما هو حال غالب أهل الوقت. فترى أظفارهم كأظفار النسور فى الطول من دون احتشام ولا حياء، وذاك أحد وجوه المسخ المعلق باليدين، حتى أن بعضهم إذا أراد أن يصافحك ربما جرح يدك بتلك المناشر التى هى أحد من موسى الحلاق.

وكم حصل لى مثل هذا حتى تركت هذه السنة، لأجل تلك الأسة، وازدادت كراهتى لها بسبب استعمال غالب الناس لهذه العشبة اليهودية، ألا وهى استنشاق طابقو وغير ذلك، مما تقدم لنا بعضه. فإذا لم تخرج تلك الأوساخ من تحت الأظفار ويغسل ما تحتها لم يصح الوضوء ولا يكفى.

ومما يقع كثيرًا من غالبهم: أن يسعل أحدهم فى الصلاة أو يتنحنح بلا ضرورة، وذلك مبطل للصلاة، أما إذا كان لعذر فلا يضر.

ومما لا يتحرزون منه: وهم فيه خاطئون مرورهم أمام من يصلى، ولا شىء أمام المصلى.

ومما لا يتحرزون منه: مرورهم أمام من يصلى إلى نحو جدار فيمشون بينه وبينه، وذلك إثم مبين. قال ﷺ "لو يعلم المار بين يدى المصلى ما ذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يديه". قال الراوى لا أدرى أقال أربعين يومًا أو شهرًا أو سنة رواه البخارى فى صحيحه، وكذلك تخطيهم الرقاب يوم الجمعة، ورأى النبى ﷺ رجلا فعل ذلك وهو يخطب: فلما فرغ من الصلاة. قال له قد آنيت وآذيت، أى تأخرت عن

البكور، وآذيت الحضور. ثم قال ما منعك أن تجمع معنا، إشارة إلى أن ذلك أحبط عمله وكأنه لم يحضر الجمعة.

ومما أحبط ثواب صلاتهم لعبهم فيها بأيديهم أو لحاهم أو التفاتهم لأمر يبدو يمنة أو يسرة أو تطلعهم لجهة السماء، وقد ورد "أن الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من الصلاة"، وفي الحديث "أما يخشى أحدكم إذا رفع بصره إلى السماء وهو في الصلاة أن يأخذ الله بصره"، "ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة. فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"، وقيل لخلف بن أيوب: ألا تطرد الذباب الذي يؤذيك في الصلاة. قال لا أعود نفسي شيئًا يفسد على صلاتي: أنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة. وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصى، وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك.

ومن مثالبهم تساهلهم بأمر الجماعة فلا يزال الرجل منهم في أمر ولو لعبا حتى تفوته صلاة الجماعة كأن يلعب بالكرطة أو الضمنة أو الشطرنج وهذا هو الحرمان بعينه، ومنهم من يتغافل عنها بالبيع والشراء، وكأنه لم يسمع قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)، وقد وصل حد الغفلة لبعضهم أنه يتهاون بصلاة الجماعة فيتركها لأدنى ملابسة من الأشغال الوقتية.

ومن مثالبهم أيضًا ترك صلاة الجمعة لأدنى غرض، ولو غير شرعي كجلسة مع زائر فاسق، مع أنها أفضل الصلوات كلها التي هي رأس الدين، وقد شدد رسول الله ﷺ في أمرها حتى جعل تاركها لا صلاة له ولا زكاة له ولا صيام له ولا حج له ولا بر له، فمن كانت هذه حاله فهو من الهالكين بيقين إذ من حرم هذا كله فقد هلك.

ومن المصائب التى عمتنا جميعًا أن الواحد منا يصلى بجوارحه، وقلبه يبيع ويشترى ويزرع ويحصد ويأمر وينهى ويروح ويجىء ويشتغل بما لم يكن يخطر فيه قبل ذلك إلى أن يفرغ ولا يدرى ما صلى أأربع ركعات أم عشرة؟، ولا يستحضر من هو واقف بين يديه، ومن يقول له (إياك نعبد وإياك نستعين)، وكأنما هى ألفاظ يحفظها تقال فى الصلاة فيقولها فتكون الصلاة عادمة القبول، خالية من الثواب، تلف كما يلف الثوب الخلق وتضرب وجه صاحبها، وتقول ضيعك الله كما ضيعتنى، ونقل عن سفيان الثورى أن من لم يخشع فسدت صلاته، وروى عنه ﷺ أنه قال "إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها".

ومن مثالبهم ترك الباقيات الصالحات عقب كل صلاة، ومنهم من يذكرها على وجه هو أقرب للعبث، ولا يمكننى أن أصف لك تلك السرعة التى يقرؤها عليها غالب أهل هذا العصر: بل حتى من ينتمى للعلم وليس من أهله، فلا تسمع منهم عند ذكر سبحان الله، إلا سبح سبح سبح لا غير، وعند ذكر الحمد لله حمد حمد حمد لا غير، وعند ذكر الله أكبر، لهكبر لهكبر لهكبر لا غير، واستوى فى هذا الخاص والعام إلا من رحم الله، وقليل ما هم.

ولما كان هذا الذكر نهاية الفلاح، ومنتهى الفوز والرياح، حسبما أخبر الحق سبحانه بذلك فى كتابه العزيز بقوله (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وكذا ما ورد فيه من صحيح الأحاديث من ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه). قال "جاء الفقراء إلى النبى ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون

كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموالهم يحجون بها من ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال ألا أحدثكم بما إن آخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه: إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين، فاختلفا بيننا. فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا وثلاثين، ونكبر أربعًا وثلاثين: فرجعت إليه. فقال تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين" [والدثور: الأموال الكثيرة]: جمع دثر بفتح فسكون، وزاد مسلم وأبو داود فى آخرها هذا الحديث "وتختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له: له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير".

قطعهم الشيطان الرجيم عن هذا الفضل العظيم، وألقى على ألسنتهم بدله ألفاظًا كادت أن تكون كفرية، وكيف لا يكون الأمر كذلك. ولفظه لهكبر ولفظه سبح اسمان لشيطانين، وراجع فى هذا الموضوع الدنىء: الكتاب المسمى [بالدر المنظوم، وخلاصة السر المكتوم، فى السحر والطلاسم والنجوم] للكشناوى المصرى تقف على تحقيق ما أشرنا به، والله الموفق.

ومن مثالبهم إذا مرض أحدهم ترك الصلاة رأسًا حتى يبرأ، وبعد ذلك قضاها أو لم يقضها، وقد سبق لنا بعض هذا فتراهم يتركونها ولو لمرض ساعة أو ساعتين ويدعى لرقة ديانته أنه مريض: على أن الأليق بالمؤمن العاقل إذا مرض خاف وازداد خوفه وقصر أمله وتذكر الآخرة وخشى اللحوق بها، فينبغى أن يعيرها التفاتًا ويهتم بما عليه من الحقوق الدينية لله أو لخلقه قبل أن يبغته الأجل، فيلقى الله بغير عمل، وقد جاء فى الحديث الشريف "من ترك

الصلاة متعمدًا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها" رواه أبو نعيم، وفى الحديث "ولا تترك الصلاة متعمدًا فإن من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله" رواه أحمد بسند صحيح، وسبق لنا أن من يؤخرها ولو فى أعلى درجات المرض وعقله حاضر لقى الله مغضوبًا عليه، بل ترى المرأة التى لا دين لها إذا خافت ربما انتظرت بعد انقطاع الدم أوقاتًا بل أيامًا بلا صلاة بدعوى أنها لم تغتسل من الحيض أو كون زوجها منعها من الخروج إلى الحمام إذا كان رجلا نقيًا غيورًا، وكذا النفساء مع أن الفقهاء نصوا على أنها إذا انقطع دمها بحيث تدرك بعد الظه خمس ركعات قبل المغرب أو أربعًا قبل الفجر وجب الظهران أو العشا آن فيحرم عليها التراخى شرعًا، ويحرم على الزوج إقرارها على ذلك، ووجب عليه زجرها وردها إلى الدين، ولكن أين هذا اليوم مع قوة سيطرتهن وسطوتهن على الرجال؟ حتى كاد الرجل أن لا يقدر أن يتكلم بين يديها بشىء يؤلمها، والويل له ثم الويل إن خاطبها بما يخالف هواها خصوصًا إن كانت لها معه أولاد فلا تسأل عما تقابله به صبح مساء بل فى كل ساعة، والنساء اليوم وجدن على هذا الظلم والتعدى والخروج عن الصراط المستقيم أعوانًا فى الوقت من قضاة الوقت وولاته، فيرى القاضى يغلب جناب المرأة على الرجل كيفما كان العمل خصوصًا إذا خاصمت امرأة صبيحة زوجها: أى ذات حسن وجمال فلا تراه إلا قد قضى على زوجها بما تحب، ولو كان يؤديه إلى الكفر واللعنة والفسوق، وقد أذكرنى هذا قول القائل:

فتن القاضى لما رفع الطرف إليها

فاستتبه ببنان وبخطى حاجبيها

فقضى جورا على الخصـ ـم ولم يقبض عليها

كيف أبصر منها نحرها أو ساعديها

لصبا حتى تره ساجدًا بين يديها

وقدم رجل امرأة حسنة النقيبة إلى القاضى. فقال يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء إليها ففطن الرجل بحال القاضى فعمد إلى نقابها فأسفره فرأى القاضى وجهً كاد أن يكون وجه خنزير فحكم عليها: وقال قومى لعنك الله: كلام مظلوم، ووجه ظلم. فقال زوجها:

قومى إلى رحلك أم حاتم قد كدت تسببين فؤاد الحاكم

ومن مثالب أهل الوقت القراءة جهرًا فى الصلاة السرية وبالعكس ولا يفرقون بين السر والجهر مع أنه سنة مؤكدة فى الفاتحة فهم يقرأون سرًا فى الجهرية، وما هو إلا جهل يتمشى على الخلاف فى تارك السنة عمدًا إذا الجاهل كالعامد: فيجب تعليمهم وتنبيههم على ذلك.

ومن مثالبهم سبق الإمام فى الركوع والسجود، وهذا حرام واستعجال عى الإمام منهى عنه شرعًا، وكل ذلك لعدم اعتنائهم بشأن الصلاة، وفى الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى (ض) قال: "أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار"، ,روى البزار والطبرانى بإسناد حسن عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "الذى يخفض ويرفع قبل الإمام إنما ناصيته بيد شيطان"، وفى الحديث "أن من أشراط القيامة إماتة الصلوات واتباع الشهوات" رواه البرزنجى فى أشراط الساعة عن 'بن عباس.

ومن مثالبهم تقطيع الصفوف بحيث يصلى فى الأول جماعة دون إتمامه: فإذا جاء آخرون أحدثوا صفًا ثانيا دون إتمامه: فإذا جاء آخرون أحدثوا صفًا ثالثًا، وهكذا حتى تكون قطع صفوف ليس فيها صف كامل ولو أنهم اجتمعوا لكانوا صفًا أو صفين، وذلك منهى عنه شرعًا، فقد روى النسائى وابن خزيمة والحاكم وصححوه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله". وقد روى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ولا يصل عبد إلا رفعه الله بها درجة".

ومن مثالبهم اعوجاج الصفوف، فترى هذا داخلا وذاك خارجًا، وكل ذلك مناف لما كان عليه السلف الصالح. فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال "كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة، ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم".

وبالجملة فلا يتساهل فى أمر إلا غافل عن الله واليوم الآخر، والبركة كلها فى امتثال الشارع الحكيم، ولكن من اعوجت بصيرته وكسل عن العمل وعاشر الجهلاء، وكره العلماء، وترك النظر، وعاش أبله، واقتصر على جمع الأموال كحال غالب أهل هذا الوقت، فكيف يمكن له أن يمتثل أمر الشارع ﷺ.

ومن مثالبهم الشنيعة التى رماهم بها إبليس حتى أفسدت عليهم عقولهم وغيرت طبائعهم، وانعكست إنسانيتهم، وصاروا فى حيز الدواب، وممن قيل

فيهم (لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) استعمالهم لهذه العشبة الخبيثة استنشاقًا وشربًا، ويحضرون صلاة الجماعة بداخل المسجد فى الصف الأول، وذاك حرام عليهم لأذاية المصلين والملائكة، إذ رائحتهم أنتن من الجيفة.

وأدنى ما يحصل لمن يكون ملاصقًا لبعض هؤلاء فى الصف تشوش باطنه من تلك الرائحة القبيحة وعدم حضور قلبه فى الصلاة، وربما قطع الصلاة قصدًا لأجله من كثرة تلك الروائح الخبيثة خصوصًا شرب الدخان الحوزى والأوروبى، ولهذا ترى كثيرًا من الناس يتباعد عن الصف الأول لأجل من قامت به هذه العلة التى أفسدت دينه وذاته ودنياه، ولا يقال أن الدخان لم يكن على عهد رسول الله ﷺ حتى ينزل به حكم مخصوص، بل نقول إنما يقال على الروائح الكريهة حيث تضر الملائكة والمسلمين، وفى الحديث "لا ضرر ولا ضرار" رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت، وفى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "من أكل ثومًا أو بصلا فليعتزلنا أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته" وكذا رواه مسلم، وفى رواية له "فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" ولا دليل على الخصوص، ومذهب إمامنا مالك (رضى الله عنه) سقوط الجمعة عنه حيث لم يجد مزيلا ووجوب ترك الجماعة.

فالدخول إلى المسجد بهذه الرائحة حرام من حيث إذاية المسلمين والملائكة، وهذا موجود فى شرب الدخان عند من يشربه من المسلمين وإنى لأجد صداعًا فى رأسى، وإذاية قبيحة بينه إذا جالسنى أحد، أو مر بإزائى فى

الطريق من يستعمله خصوصًا عند المكالمة فلا تسأل عما يحصل لى من الإذاية، وعندى أفواه هؤلاء المتعاطين لهذه العشبة اليهودية الأوروبية كمحارجهم حالة خروج الغائط من غير فرق.

وإذا كان هذا فى حق الآدمى، فكيف بالملائكة الكرام الذين هم أدنى شىء من الروائح الكريهة ينفرهم، ومعلوم أنهم يحضرون مجالس الخير كالقراءة والذكر.

والقياس الجلى أخو النص الصريح فى الدين كما هو معلوم، فلعل المكابر يرجع عن دعوى الاجتهاد ولا يعيب على الفقهاء فى تحريمهم الدخان ويقول لم يرد له نص صريح، على أننا لا نرى من ابتلى بهذه العشبة الخبيثة قد أفقدته الصحة، وأورثته قرحة، وجلبت له ترحة، وجرت له عار الأبد، وذل الأمد، وبؤس النكد، فلا تراه يحبه أحد، ولا يشفق عليه والد ولا ولد، يفرون منه كأنه داء، وكيف لا وداؤه أعيا الأطباء.

وها أنت ترى الغالب منهم كالخيال حيث امتص الدخان لحمه ودمه وفوق ذلك أورثه العار بين أهله وخراب الديار من كثرة ما ينفقه فى ثمنه وبعضه على مأكله وملبسه، فلهذا ترى المتعاطين له معظمهم فى نكد.

واستعمال التدخين من أعلى علامات شقاوة صاحبه، عياذًا بالله، فمن أن ينظر إلى شقى يمشى على وجه الأرض، فلينظر إلى صاحب التدخين، وكذا المستعمل تابغًا: أى طابقوا، ويكفى فى خسة التدخين أنه مهب للعقل، ضار بالنسل، موقع فى الذل.

وقد ذكر الأطباء أن شرب الدخان أعظم الأسباب التى تجلب من أنواع الأمراض ما لا حصر له: منها فساد الأسنان وورم اللثة.

وقد ذهب الإمام المنوفى ومن تبعه إلى أن التدخين من قبيل الخمر وعنده يجلد متعاطيه، وإن جميع ما نزل فى الخمر فهو به أمثل، ولا فرق فى ذلك بينه وبين تابغا، أى طابقوا، وبين الحشيشة والأفيون والمعجون المستعمل من الحشيشة.

قال العلماء: والدخان والتبغ لا منفعة فيهما، بل من أضر العادات التى بلى بها هذا النوع الإنسانى، ومن أعظم المصائب والكبائر التى توجب غضب الرحمن فى السر والإعلان. بل هما المصيبة الكبرى، والداهية العظمى، والمنكر الفظيع، والعصيان الشنيع. الذى استقبحته الشريعة ونافرته الطبيعة.

وقد جاءت نصوص الشرع هادمة لأقل من هذه الخبائث القبيحة محذرة منها، فما بالك بهذا الخبث الذى كاد أن يكون أم الخبائث، وقد اعتنقه الكثير، وأربى فيه الكبير والصغير، ودخله الناس أفواجًا وأفذاذًا وانتشر فى جميع أقطار الأرض، وعم الطول والعرض، فى أقرب وقت انتشارًا لم يعهد له نظير، وصار فى المحافل والجموعات، ديدن النسناس، تبعًا للمجوس واليهود وحزب الوسواس الخناس، فلا تمر بطريق بل لا ترفع قدمًا دون أخرى فى هذه الأزمنة الأوانشق رأسك والصدع من كثرة روائح التدخين على اختلاف أنواعها وارتفاع أثمانها، وأعظمها نتنا التدخين الحوزى، ويليه التدخين الأوروبى، وهذه العشبة الخبيثة والداهية السارية فى أجسام المشغوفين بها، فلما تجدهم يغيبون عنها ساعة من الساعات، بل منهم من لا تفارقه ليلا ونهارًا على حسب الساعات والدقائق.

وفى حاشية علامة زمانه الشيخ الرهونى على الزرقانى فى باب الزكاة ما نصه: الكلام على مسألة شرب الدخان الذى عمت به البلوى فى هذا الزمان،

وقد أكثر المتأخرون الكلام فيها، فمنهم وهم الأكثر من منع وشدد فى المنع، ومنهم العالم المحدث الأصولى الصوفى المحقق أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى قائلا: فإن الذى ينبغى اعتماده بلاثنيا، ويستند إليه فى صلاح الدين والدنيا، مع وجوب الإعلان به والإعلام، والإشادة به فى جميع بلاد الإسلام: أن مما عمت به البلوى سف دخان طابة محرم الاستعمال لاعتراف كثير ممن له تمييز وتجربة بأنها تحدث تقتيراً وخدراً فتشارك أولية الخمر فى نشوتها، وتشبه الأفيون والحشيشة فى جنسها ونوعها.

وقد فسر غير واحد الأفتار باسترخاء الأطراف وتخدرها وصيرورتها إلى وهن وانكسار فيها. وذلك من مبادئ النشوة، وذلك كله موجود فيها من غير شك ولا مين بالتجربة عند أهلها حتى أنه يكتفى بها عن تعاطى القليل من الخمر.

ثم قال: فإن قلت سلمنا كونها مخدرة ومفترة لما ذكرته، فأين الدليل على حرمة المفتر، قلنا الدليل على ذلك ما تثبت فى أبى داود ومسند الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: "نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

قال العلقمى: وحكى أن رجلا من العجم قدم القاهرة، وطلب دليلا على تحريم الحشيشة: وعقد لذلك مجلسًا حضره علماء العصر، فاستدل الحافظ زين الدين العراقى بهذا الحديث، فأعجب الحاضرين. قال ونبه السيوطى على صحته، وكذا استدل به ابن حجر على حرمة المفتر ولم يكن شرابًا ولا مسكرًا فى شرح البخارى فى باب الخمر من العسل، وكذا احتج به القسلطلانى فى المواهب اللدنية عل ذلك أيضًا، وذكره السيوطى فى جامعه. ولولا صلاحيته للاحتجاج به ما احتج به هؤلاء، وهم رجال الحديث وجهابذته.

ثم قال: وأما مسألة الغبار المجعول فى الأنف عند غوغاء الناس وسفلتهم فهو فى أصله نبات طاهر إذا سلم من العوارض، لكن قال الشيخ إبراهيم اللقانى: أن المجلوب من بلاد النصارى يرشونه بالخمر، ولذلك كان تعاطيه قادحًا فى الشهادة والإمامة، لأنه خارق للمروءة، إذ هو من فعل السفهاء لا أهل المروءة والديانة، والإدمان والديانة، والإدمان عليه قادح فى العدالة.

ثم قال بعد كلام: وكان السلطان مولاى أحمد رحمه الله أمر بإحراقها فأحرقت بديوان فاس الجديد، حين قدم من مراكش وضاع فيها مال عظيم لبائعها، إذ لو كان استنشاقها مباحًا لم يكن سبيل إلى إحراقها ولا إلى منع التجاة فيها ا هـ المراد منها.

وفى حاشية الشيوخ جنون ما نصه: قال الشيخ أبو بكر الكتانى (رضى الله عنه): كنت بدعة أول ما ظهرت هذه العشبة وأنا حديث السن فى أوائل الاشتغال بالطلب، فبينما نحن ذات ليلة والطلبة مجتمعة فى ليلة خميس كما هو شأنهم فى ليالى تعطيل القراءة، فأتى بعضهم بهذا الدخان، فتناولوه فيما بينهم إلى أن جاءت إلى، فتناولتها وأخذت منها نفسًا أو نفسين فلما نمت جاءنى فى عالم النوم رجلان فى يديهما حرب من حرب السودان وما كنت رأيتها قبل ذلك، فأخذا يضربانى ويعذبانى، ويقولان لم تناولت الدخان وأنا أعتذر لهما وأقول: لا علم لى بشأنها، ولا يقبلان عذرى فى ذلك. وعذبانى عذابًا شديدًا، حتى استيقظت ووجدت أثر الضرب فى جسدى ظاهرًا أتألم منه ألمًا شديدًا ن وبقيت مريضًا من أجل ذلك نحوًا من سبعة أشهر ا هـ.

وقال الشيخ أبو العباس الناصرى فى كتابه [الاستقصاء] ما نصه: وفى

سنة إحدى وألف أتى بالفيلة من بلاد السودان إلى المنصور، وكان يوم دخولها بمراكش يومًا مشهودًا، برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان. ثم حملت إلى فاس فى رمضان سنة سبع وألف، وكان دخول الفيل إلى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان من السنة المذكورة، وخرج أهل فاس ذلك اليوم للقاء الفيل بنحو مائة ألف نفس.

وبسبب دخول هذه الفيلة إلى المغرب: ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابغ: لأن أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها، ويزعمون أن فيها منافع: فشاعت منهم فى بلاد درعة ومراكش وغيرها من بقاع المغرب، وتعارضت فيها فتاوى العلماء (رضى الله عنهم): فمن قائل بالتحريم، ومن قائل بالتحليل، ومتوقف، والعلم عند الله فيها سبحانه، لكن من تأمل أدنى تأمل فى قواعد الشريعة، وآدابها علم يقينًا أن تناول هذه العشبة حرام: لأنها من الخبائث، وأنت لا تجد أخبث ولا أقذر من رائحة أفواه شربة الدخان ولا أنتن ولا أعفن من نكهات المستفين لغبار تابغ، وهذا النتن من أقبح العيوب فى نظر الشرع حتى أنه جعل الخيار لأحد الزوجين إذا كان صاحبه أبخر.

فإذن لا نشك أن استعمال هذه العشبة الخبيثة فى الفم أو الأنف من أعظم المحظورات: لأنها تصدم غرضًا كبيرًا من أغراض الشرع وتضاده وتنفيه، ولو كان نتنها يعلق بعضو من الأعضاء غير الوجه لكان هينًا، لكنه يعلق بالفم والأنف اللذين وضعهما الحكيم العليم فى وسط الوجه الذى هو أشرف الأعضاء: فأى مضمضة، وأى استنشاق، وأى سواك يزيل ذلك النتن الذى يرسخ فى أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخًا لا يماثله شىء.

ولقد أفصح العامة عن شدة هذه العشبة، وصادفوا الصواب حيث قالوا أن فضلة الدخان المسماة عندهم بالقبر تنجس النجاسة.

هذا إلى ما يتبع ذلك من المفاسد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى أنه إذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالى بما صدر منه، ومن دخول الشك فى صيامه لأن بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد تمكنت فى حلقه إلى طلوع الفجر وما بعده: لأن جلهم إذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو خاتمة سحورهم.

وبالجملة فلا يستعمل ذلك إلا من لا خلاق له ولا يكترث بمروءة ولا دين وهو فادح فى الشهادة والإمامة انتهى منه بلفظه.

فالتفت عبد الصمد المصرى إلى عبد الباسط: وقال لو ذكرت لكم ما عندنا فى شأنه لسمعتم العجب العجاب.

ومن أعظم المصائب أن عامة فقهاء المشرق متساهلون فيه فضلا عن عوامهم، وقد رأيت كثيراً ممن يستعمله فى المساجد ولا يتحرشون، وهو أمر شنيع، ولا ينبغى أن يختلف فى امتناعه لكراهة رائحته وخبثها ومنافاة تعاطيه للتعظيم والوقار المطلوبين فى المساجد حتى أنه يحرم كل ما يخل بتعظيمها ويقتضى إهانتها حتى الثوم والبصل مع الاتفاق على إباحتهما، ولو اضطر آكلهما لدواء: إلا أن أهل المشرق فى الغالب يخلون بتعظيم المساجد يأكلون فيها ويشربون ويحلقون رءوسهم وينامون.

ثم قال عبد الصمد لما كشف "خرستوف" جزيرة كوبا من جزائر الهند الغربية رأى بعض الأهلين وبأفواههم لفائف مدخنة متخذة من ورق نبات

اسمه بيستوم ينمو فى جزائر الانتيل كافة وفى المناطق الاستوائية من أمريكا: فلما رجع هو ومن معه إلى أوروبا أخذوا معهم منه أغراسًا.

دخل ذلك السم القاتل الأندلس أخريات القرن الخامس عشر، ومن ثم انتشر فى سائر أوروبا، وسماه الفرنجة بالتبك نسبة إلى جزيرة تباغو.

وقد فطن ملوكها وقادتها منذ أوائل القرن السادس عشر إلى مضاره فمنعوا تعاطيه، وهددوا متعاطيه بجذع الأنف أو بالقتل.

ولما رأى مفتى تركيا ولوع الترك به، وكان الفرنجة جلبوه إلى القسنطينية سنة خمس وستمائة وألف فى عهد السلطان أحمد القانونى: أفتى بتحريمه فهاجت الأمة وماجت، ولم يذعنوا لفتواه وظلوا فى غيهم يعمهون، ولم يشدد عليهم النكير فاستكثروا منه وأكبوا عليه رجالا ونساء.

وأمر لويس الثالث عشر ملك فرنسا سنة خمس وثلاثين وستمائة وألف ألا يشرب ولا يباع إلا للصيدليات، وكان ذاع بين الناس أنه دواء لكثير من الأدواء.

وتوعد من تجاوز أمره بالنكال والعذاب، ولكنه على الرغم من هذه المناهضة العنيفة تهافت التجار على الاتجار به لما نالوا من الربح الوفير، ولا زلنا حتى الآن نراهم يحرزون منه ثروة طائلة تقدر بألوف الألوف. ثم تفشى هذا الوباء فى كثير من بقاع المعمورة، وأعزم الناس به لا سيما المصريون أولوا السبق فى تقليد كل جديد، وعلق به رجالهم وبعض نسائهم وصبيتهم، وتغالوا فى ذلك حتى جاوزوا حد الحزم والقصد، وإنى ليحزننى، وأيم الله أن أرى العامل الفقير على قلة أجره ينفق فيه كل يوم ما لا يقل عن أربعة قروش أو خمسة: فيستنفد منه هذا الصنف وحده فى شهر: جنيهًا ونصفًا تقريبًا.

دع عنك هؤلاء الأغنياء الذين يأبى عليهم ترفهم إلا أن يبتاعوا من اللفائف القيمة ذات الخمسين قرشًا، مالو تصدقوا ببعض ثمنه فى وجوه البر والإحسان لا لانتشلوا البائسين من أبناء وطنهم من مخالب التعس والشقاء، بربك سائل مدمنيه عما جنوه من ثمرة ينبؤك أنهم لم ينلهم منه إلا كل داء لا يبرأ منه، وضرر وبيل من اسوداد الأسنان وتسويسها وزرقة الشفتين ونتونة ريح الفم والتهاب اللسان واللوزتين وتقريح الحلق وتكدير اللعاب الذى يؤلم المعدة ويشل حركة الهضم، ويهيج الكلى، ويهيئها للأمراض، وينقص ضربات القلب، ويذيب بعض كرات الدم الحمراء: فيحدث شحوبًا فى اللون، وفقرًا فى الدم، وفسادا فى الرئتين قد يفضى إلى متابعة السعال: بل إلى السل وخمودًا فى الأعصاب، واهتزاز فى العضلات، ورعشة فى الأيدى، ودوارًا فى الرأس، وألمًا فى الجبهة، وضعفًا فى العينين، ودمعًا واحمرارًا وسخونة فيهما عقب الاستيقاظ من النوم وفتورًا فى الذاكرة، فضلا عن رائحته الكريهة، وما يجره من المغرم على الجيوب، وما يصيب شاربيه من ألم المزاج وضيق الصدر إذا حيل بينهم وبينه.

ولا أطيل عليكم فهو شديد المضرة لمتعاطيه لا سيما النحفاء والأحداء ومن لم يتكامل نمو أجسامهم.

أجل إن مدمنيه أعرف الناس بما يحدث منه من المضار ولكنهم ل يملكون التخلص من ربقته إذا صار لهم عادة، وسلطان العادة لا يقهر وحكمها لا ينقض.

ولقد أصبح عندنا من أخص مظاهر التمدن الحديث تقديم اللفيفة هدية لكل زائر، وتحية لكل قادم قيامً بواجب الإكرام والحفاوة كما أن واجب الذوق والمجاملة يقضى عليه أن يشعلها.

وفاته أن تلك اللفيفة التى شربها لهوا ولعبًا: تشغل بلاء وشرًا مستطيرا. إذ لا يلبث أن يجد ريح الدخان فى خياشيمه فيهرع إلى شرابه ويقبل عليه أيما إقبال، فحذار أيها الناشئ أن يستهويك شيطان الغرور وأن أهدى إليك خليلا من خلانك لفيفة فردها ردًا جميلا، ولا تصدق ما يوسوس به إليك من أنها تمحو الهموم وتشتت قاتل الأفكار، وتؤنس فى الوحشة، وتسلو بها حين التفكير.

فلديك من ضروب الرياضة العقلية والبدنية ما يغنيك عن سلوك ذلك الطريق العسر المسلك.

ولتكن لك أسوة حسنة بدعاة الإصلاح من ملتك الذين يحرمونه ويحظرونه ويعدون تعاطيه إقدامًا على الانتحار البطىء، وأظلم الناس من ظلم نفسه وقتلها بيده.

فقال عبد الباسط بعد هذا، وبالجملة فقد كثر القول فى استعمال الدخان وتبغًا بالكراهة والتحريم. والقول بتحريمهما هو الذى يدان الله به.

فمن يرى حرمته: شيخ الإسلام سيدى إبراهيم اللقانى المالكى، والشيخ عبد الكريم القيسمطينى، والحافظ الأفرانى المراكشى، والإمام المقرى، وابن جلال، والغسانى، والجولانى، والعنبرى، والعارف سيدى عبد القادر الفاسى، والعارف سيدى عبد الرحمن، والعلامة أبو حامد الفاسى. والشهاب القليوبى، وصاحب الذهب لأبريز، وأبو على اليوسى، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الناصر، والعارف بالله الشيخ أبو العباس بن ناصر الدرعى، والشيخ محمود الكردى، والشيخ المحقق البنانى وأبو سالم العياشى، والشيخ ابن علان المكى، والشيخ سالم السنهورى والشيخ الفكون، والشيخ عبد

الرحمن الصومعى، والشيخ الخرشى، وأبو حسن على الزعترى المصرى، والشيخ على الأجهورى آخرا، وغير هؤلاء بكثرة.

رجل هؤلاء المشايخ لهم فيه تأليف ردوا على من أباحه ردًا بليغًا ونقضوا حجته عروة عروة، وقد بسطنا الكلام على هذا الموضوع بما لا مزيد عنه فى كتابنا [الكشف والتبيان. عن حال أهل الزمان]. فراجعه تزدد يقينًا والله الموفق.

وأما أهل هذه العشبة الخبيثة المعروفة على لسانهم بطابقو فتراهم من شدة شغفهم بها دائمًا بيدهم حق منها وخرقة لا تفارقهم حتى فى داخل الصلاة، ومنمه من يأكلها أكلا ولو وجد السبيل لأكل الحق الذى هى به خصوصًا فى هذا العصر بعض أهل فاس وعلمائه حتى بداخل المساجد من دون حياء ولا احتشام، والأمر لله (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ولا تسأل عن العفونات الحالة بذواتهم وثيابهم بل كل شىء مسته يدهم تعفن أشد العفونة حتى كؤوس الشاى.

فلهذا تجد الكثير ممن خصهم الله بالنظافة وطهرهم من هذه العشبة الخبيثة مهما حضروا وليمة وقد تنوولت فيها أكواب الشاى وكان المباشر لها طاهرًا مما ذكر إلا وكان نصيبهم منه الكأس الأول. إلا إذا لم يتبدل وتحقق أنه هو خوفًا من تنجس أفواههم بشىء مسته تلك الأيدى والأفواه الخبيثة.

ومن أقبح عيونهم فيها، وأرذل مساويهم التى زهدت الناس فى مجالستهم وقطع مواصلاتهم كونهم مهما جلسوا على فراش إلا وقذروه بنفض أيديهم حالة الاستنشاق ثم مسحها بذلك الفراش كان لهم أو لغيرهم

ولا يخفى ما فى هذا من الظلم إن كان لغيرهم، ومن أين لهم أن يعرفوا وجوه الظلم وهم سكارى؟.

وكان الغالب على متعاطيها فى الزمن الماضى التستر ما أمكنه من وجهين: الأول كونه يعلم أنه مهما استنشق هذه العشبة إلا ودمعت عيناه، واحمر وجهه وغاب عقله وانطمست بصيرته واسترخت أطرافه وانكسرت قوته وانحط رأسه وتبدلت خلقه حتى أنه قد جن أو مسخ.

الوجه الثانى: كونه يعلم أن المتعاطى لهذه العشبة هم اليهود ذكورًا وإناثًا، وإنما الباعث له على تعاطيها المحبة لهم والاقتداء بهم لا غير.

فلهذا كان أربابها سابقًا حالة الاستنشاق يتسترون غاية التستر بحيث لا يطلع عليهم أحد ظنًا منهم أن أثر ذلك التقليد اليهودى لا يظهر على وجوههم. على أنه لا يخفى على كل مؤمن ذلك الأثر: أثر الذل والمسكنة كما لا تخفى تلك الغبرة والزرقة التى تصيب شارب الدخان فى جميع حالاته، وهذا بين واضح يراه كل من نور الله بصيرته بالإيمان.

ثم إن الشيخ عبد الهادى التفت إلى الشيخ عبد الباسط. وقال له: حسبك اذكر لنا غير هذا. فقال.

شغف غالب الناس بأكل الحشيشة والأفيون وشرب الخمور

ومن مساويهم الشنيعة أيضًا شغف غالبهم بأكل الحشيشة والأفيون وشرب الخمور. على أن مضار الحشيشية لا تخفى على كل عاقل: بل حتى المتعاطى لها، وقد نقل الشعرانى فى كتابه [المنن] عن قطب الدين العسقلانى

أنها تورث أكثر من ثلاثمائة داء فى البدن وكل داء لا يوجد له دواء. فمنها تنقيص القوى، وإحراق الدماء، وتنقيب الكبد، وتقريح الجسد، وتجفيف الرطوبات، وتضعيف اللثات، وتصفير اللون، وتحفير الأسنان البخر فى الفم، وتولد السوداء، والجذام والبرص والخرص وموت الفجأة، وتورث كثرة الخطأ والنسيان، والضجر من الناس، وتولد الأغشاء فى العيون، وتخلط العقل، وتورث الجنون غالبًا، وتورث تقليل الحياء، وتسقط المروءة، وتفسد الفكرة، وتولد الخيال الفاسد، والفراغ من أمور الآخرة، وتنسى العبد ذكر ربه، إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره.

وحسبك ما ذكرناه، ومع هذا قال حكماء الزمان وأطباؤه إن مضار استنشاق تبغًا وشرب الدخان أعظم من المضار المتولدة من استعمال الحشيشة، وأما مضار الأفيون فقريب من مضار الحشيشة، وأما الخمر فحكمها واضح، وحسبك أنها أم الخبائث، ولقد فشا شربها بها اليوم حتى عند النساء والصبيان: بل حتى فى مدعى العلم من أهل هذا العصر وليس من أهله، بل حتى فى بعض قضاة الوقت ومتوليه، وكل ذلك من غرابة الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

كنت أعتقد أن علماء الوقت بعيدون عن طريق الغواية واتباع الشيطان حتى إذا خالطت الكثير منهم كشفت لى المخالطة أشياءَ لم تكن من حسبانى.

ذلك أنى عرفت رجالا منهم ينطوون على أغراض فاسدة لا يبالون بالدين عابثين بآدابه، وهاجرين لأحكامه، يغشون أماكن الرقص ومواضع النقص، ويتغالون فى الخمر ومعاقرها، والمومسة ومداعيتها، ومنهم من لهم نصيب كبير فى الشغف بالفتيات السائرات فى الطرقات، ومنهم من إذا سكن

فى دار سعى فيـها فسادًا، ولو بالسخـريات والعزريات، ومنهم من لا يصلى بالمرة، وربما صلى الجمعة فقط، ومع هذا يدعى الرياسة فى العلم والفتوى.

ولولا آلامى الجسام لقصصت عليك ما يقشعر له البدن من أحوال بعض علماء العصر ومحدثيه، وهم فى نظر العامة القدوة التى تهدى إلى الإسلام.

وكنت سابقًا أظن أن أهل العلم الدينى هم مـعقل رجائنا، ومناط آمالنا نعـدهم وعـاظًا لنا ومرشـدين. وتركن إليـهم فى هداية الأمـة إلى الصـراط المستقيم، ونثق بهم فى نشر الفضيلة، ومـحاربة الرذيلة: فإذا هم كما سمعت خصوصًـا إذا أسندت إليهم الأعمال الوقتيـة من ولاية فقضاء فحـسبة فنظارة فإفتاء فعدالة فمراقبة. فالفساد إذن ينتهى لمنتهى غايته، ويرتقى لما فوق طاقته.

ومما يزيد فى رجائى لإصـلاحهم وإن كـان سوادهم لا يزال يؤم نوادى اللهو والمسـرات والفكاهات تكفل الزمن بردهم إلى الصـواب، وتفيـمهم أن الغـرض مما حملوه من العلم الديـنى هو التخلق بأخـلاقه من فـضيلة وقـوة ونشاط وإخلاص وحزم وعزم وصبر على المكاره، وبعد عن السفاسف وإقـبال على الخير، وبعد عن الشر.

وحاشا لـله أن أقصد أهل العلم بإيلام أو جرح عـواطفهم وإنما سطرت ما سطرت بغية الإصلاح وإسباغ ثوب الكمال المستطاع على إجلائهم مصابيح الأمة ونجوم هدايتها.

وفقنا الله وإياهم للحق، والانصياع إلـيه، وبصرنا وإياهم بما يعود علينا وعليهم وعلى أمتهم بالسعادة آمين.

من عوائدهم المنكرة لعبهم القمار والشطرنج وغيرهما

ومن مثالبهم الشنيعة استعمال أنواع المقامرة، واللعب بالشطرنج والضامة والكرطة.

أما المقامرة فخرفة قام بها عدد من الناس اليوم إحياء لأيام الجاهلية وقلدوهم فى ذلك حتى الصغار والمرهقون. قال الله تعالى فى كتابه العزيز (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يرد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) الميسر: القمار بأى نوع كان، وسبب النهى عنه وتعظيم أمره أنه من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى عنه بقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وأيضًا فهو داخل فى قوله ﷺ "إن رجالا يتخوضون فى مال الغير بغير حق فلهم النار".

وروى الإمام البخارى فى صحيحه ن رسول الله ﷺ قال "من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق". فإذا اقتضى مطلق القول طلب الكفارة والصدقة المنبئة عن عظيم ما وجبت، أو سنت فيه، فما ظنك بالفعل والمباشرة.

وأما حكم الشطرنج: فقد أخرج أبو بكر الأثرم فى جامعه بسنده عن واثلة بن الأسقع (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "إن لله تعالى فى يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه، ليس لصاحب الشاه فيها نصيب". وفسر صاحب الشاه: يلاعب الشطرنج لأنه يقول شاه.

وأخرج أبو بكر الآجرى فى سنده عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن

رسول الله ﷺ قال "إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو، فلا تسلموا عليهم، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده، فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فما يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة. فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت.

وروى عنه ﷺ أنه قال "أشد الناس عذابًا يوم القيامة صاحب الشاه: يعنى صاحب الشطرنج. ألا تراه يقول: قتلته والله، مات والله افتراء وكذبًا على الله".

وسئل محمد بن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج، فقال أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يخسر يوم القيامة مع أصحاب الباطل، وقال مجاهد: (رضى الله عنه) ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر، فأهل ذكر.

احتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج، فقيل له: قل لا إله إلا الله، قال شاهك. ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده فى حال حياته من اللعب بها.

ونظير ما ذكر عن هذا المختوم له بقوله شاهك ما جاء عن إنسان كان يجالس شربة الخمر، فلما احتضر لقن الشهادة، فقال لمن يلقنه اشرب واسقنى ثم مات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وهذا مصداق الحديث الصحيح المشهور الذى خرجه الإمام مسلم فى صحيحه "يموت كل إنسان على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه".
وأما الضامة: فاللعب بها كاللعب بالشطرنج من باب واحد. قال الحافظ

الحجة ابن المبارك صاحب [الذهب الإبريز] وسألته يعنى شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ (رضى الله عنه) عن حكم اللعب باللعبة المعروفة بالضامة، فقال هو حرام فقلت ولم؟ فقال جميع المحرمات إنما حرمت لسبب واحد، وهو ما فيها من الانقطاع عن الله تعالى، فكل قاطع للعبد عن الله تعالى ولا غرض فيه للشارع، فإن الله يحرمه. قال: وهذه اللعبة لا منفعة فيها إلا الشغل عن الله تعالى، فان أربا بها تراهم حين تعاطيها منقطعين إليها بالقلب والقالب حتى تنسد جميع عيون ذواتهم عن الحق سبحانه وتعالى فى تلك الساعة أ هـ.

وأما حكم اللعب بالكرطة: فكاللعب بالضامة من باب واحد، فما جرى على الضامة يجرى عليها.

وأيضا اللعب بها يخل بالمروءة التى يجب تحصينها، ويزيل السكينة التى ينبغى تحصيلها، والمشاهد من اللاعب بها كثرة الوثوب والطيش والهرج والفحش والحمق والسب والكذب واليمين الغموس والخيانة والبهتان. وهذا ليس من أخلاق أهل الإيمان.

وأيضا فالمحل التى تكون فيه تنفرعنه الملائكة قطعًا لأجل ما فى أوراقها من تصاوير الحيوان: من آدمى وغيره تامة الصورة.

فقال له الشيخ عبد الهادى وما قولك فى الأيمان التى يرتكبونها اليوم هل هى مبنية على صدق أم كذب؟

حكم الإيمان الكاذبة

فقال عبد الباسط: أما أمر الأيمان فحدث عنه ما تشاء، فقد ملأت البدو والحضر، فجرت القلوب وخرج منها خوف الله، فما شاء الناس فعلوا

غير مقيـدين بكتاب ولا سنة، استحكم أمر الجهل فأعـمى البصائر فولوا عن الهدى مدبرين.

أصبحت الأيمان بالله تلاك فى أفواه السفهاء وضعفاء الإيمان بالله، بل وبرسوله وكتابه، اتخذوها وسيلة إلى أكل الحقـوق وهضمها ولم يخافوا يوما تزيغ فيه الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر.

ولنذكـر لك ما يحضـرنى فى هذا الأمر، فنـقول: من ابتداعـاتهم فى الأيمان الحلف بالله كاذبا.

لقد فشا هذا الأمر فشواً يسىء صاحب الدين، ويزرى بالإسلام وأهله. ومن العجـيب تنائى الكافر عنه وورود المسلم مـورده. وهذا من أكبر فـسوق العبـد إذ هو من المعاصى التى وقعت فى الوجـود، به أغرى إبليس آدم على الأكل من الشجرة. وذلك ما لم يكن تهاونا بالحلف، وإلا فهو كفر لا مشاحة فيه.

وقد ورد كمـا فى صحيح البخـارى عن عبد الله بن عمـرو بن العاص (رضى الله عنهـما) أن رسـول الله ﷺ قال "الكبـائر الإشراك بالله وعـقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمـين الغموس". وهى الكاذبة، سميت غـموسا لأنها تغمس صاحبها فى النار.

وقد ورد أن رجـلا تقـابل مع إبليس فقـال له: بأى شىء أكون مـثلك فقال: اترك الصلاة ولا تحلف بالله صادقا.

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى إياس بن ثعلبة الحارثى (رضى الله عنه) أن رسـول الله ﷺ قال "من إقـتطع حق امرئ مـسلم بيمـينه فـقد

أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال وإن كان قضيبا من أراك"

وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال "كنا نعد من الذنب الذى ليس له كفارة اليمين الغموس، قيل وما اليمين الغموس؟ قال الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل" رواه الحاكم.

وبهذا تعلم أن غالب الناس فيما هم فيه من اليمين الغموس مارقون من عمل أهل الإسلام، إذ هم يكذبون فى أيمانهم لأدنى سبب.

أما يخاف صاحب اليمين الكاذبة أن يجلب الله له خراب الديار فوق استخفافه عذاب النار. وفى الحديث "واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع" ولهذا تجدد الفقر والاضطرار فى السوقة الذين يبيعون ويبتاعون بها، فلا تكاد تراهم إلا وهم فى إقلال وفقر مدقع.

ومن بدعهم الحلف بغير الله مع ورود النهى عن ذلك، فمنهم من يحلف بمن اشتهر فى الوقت بالصلاح.

ومنهم من يحلف بالأخوة والأبوة والطعام والمحبة، وأمثال هذا الخور الذى لا يخرج إلا من لسان أحمق أخرق لا يميز بين السماء والأرض.

وكل هذا ورد النهى عنه، وقد جاء فى الصحيحين عن أبى عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت".

فانظر إلى قوله ﷺ "فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت: تعرف أن الحلف بغير الله، ولو مما عظم الله كالكعبة والأولياء منهى عنه شرعًا.

الحلف بالطلاق

ومن بدعهم بالطلاق، وهو عليهم داهية دهياء، وقد وقع الكثير منهم فى بت الزوجة، وبقى معها إيثارا للدنيا على الآخرة، فأصبح الكثير من النساء يلدن أولاد الزنى، وقد جاء مصرحا به فى حديث رواهَ الطبرانى عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال "إذا اقترب الزمان يربى الرجل جروا: أى ولد الكلب، خير له من أن يربى ولدا له ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنى"، وفى رواية "يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدكم جرو كلب أو خنزير من أن يربى ولدا من صلبه"، وجاء فى الحديث عنه ﷺ أنه قال "لا تحلفوا بالطلاق ولا بالعتاق فإنهما أيمان الفساق"، وهذا الأمر لا يخلو منه مجلس من مجالس الناس، بل ربما كان فى بيوت الله التى بنيت لذكره.

أما الأسواق فهى مقره وعشه وموضعه، الطلاقات فيها أسهل على العبد من دراهمه. ودينه عليه أهون من فلسه: فلا تكاد تجد سوقيا لامرأته عنده عصمة إلا ما قل وندر، ويرى الزانى زنى بغيرها، وأما بها فلا. لأنها سبقت لها روجية تبقى معه آخر عمره، وتلد أولاد الزنى، فيسمى هذا مولاى عنتر، وهذا مولاى زعتر، ويتبجحون بالشرف بين الأقران، وهم أولاد زنى فى السر والإعلان.

وأفظع مساويهم فى هذا الباب: أمر خارج عن إجماع المسلمين لا يرضى به عالم من علماء الأمة العاملين، ولا يوجد فى المذاهب الأربعة قول معمول به فيه مناقض لصريح السنة ونص القرآن الكريم، وهو رد المبتوتة لزوجها بدعوى أن طلاق الثلاث يعتبر طلقة واحدة ويتمسكون بخرافات مأثورة عن الخوارج.

ونص الفقهاء على أن هذا خرق للإجماع وحكموا بتفسيق من يفتى به ونقض الحكم به حتى قال بعض الشافعية فى حق ابن تيمية رئيس المحللين أنه ضال مضل خرق الإجماع، وقد كثر الأخذ اليوم بقول ابن تيمية هذا فى المشرق: بل حتى فى المغرب وأعرف بعض الناس من أهل هذه الأرض ممن أخذ بهذا القول، وعمل له وأفتى به بعد أن طلقها ثلاثا فى واحدة، والأمر لله. (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور).

ومن مساويهم طلب الحلف بغير الله: لا يرضى الخصم بقوله بالله ولا والله: إنما يرضى بالحلف باسم الولى أو المصحف أو البخارى أو الطلاق.

ارتكاب المعاصى عند القدوم من الحج

ومن مساويهم: اتخاذ آلات الطرب من موسيقى ومزمار وطبل وغيطة وعياطات وشيخة، وغير ذلك من المناكر عند قدومهم إلا بلادهم من الحج، وهذا منهى عنه، ونحن مأمورون بتلقيهم وطلب الاستغفار منهم. فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى عمر أن رسول الله ﷺ قال "إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له".

فانظر بعينيك قوله ﷺ قبل أن يدخل بيته: أى قبل أن يلحقه ذنب: إذا الغالب على المخالطة ذلك. فكيف وهو قادم بالمعصية من رقص ومزمار وغير ذلك. لقد ضاعت الفضائل، وأهملت الحقوق الشريعة.

وبالجملة فقد قضى أهل هذا العصر على الإسلام بما ابتدعوا، ولم يدعوا ركنًا من أركانه إلا أوقعوا الخلل فيه: حتى الحج الذى جعل لغفران الذنوب، والخلوص من أحوال الجرائم، عبثوا به كل العبث.

والسبب الأقوى الموصل لهذا كون تلك الأموال التى تزودوا بها لبيت الله الحرام ليست بطيبة: بل جلها أو كلها من أكل أموال الناس بالباطل وكأن غرضهم الوحيد فى ذلك اكتساب لقب [الحاج]. فلهذا لما يرجع الحاج إلى بلاده يقيم معالم الزينة، ويحضر الطبول والمزامير.

ويعلم الله: كم من المنكرات ترتكب فى هذه المحافل، وكل هذه الأعمال منكرة لا يقرها الإسلام: بل ينكرها أشد الإنكار، ولكنها مع الأسف أصبحت فتنة لمن لم يعرف الإسلام: فيظن أن ما يفعله هؤلاء من الدين، ويتخذ من صور هذه المنكرات صورة يمثل بها الإسلام.

وبالجملة فالقول ما قال بعض حكمائنا عليهم رضوان الله. أن الإسلام شيء، والمسلمون شيء آخر، وقد أمر الله تعالى الناس إذا انتهوا من أداء المناسك أن يكثروا من ذكره حتى يشغلهم الذكر عن فعل هذه المنكرات. فقال الله تعالى: (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا). وأنى لهم بهذا؟ وغالبهم اليوم إذا رجع من حجه رجع على أسوأ عقيدة وأخبث تجارة، وازداد حرصًا وساء عملا وأمسك خيره، وأظهر شره، وحسبك ما ترى من حالهم اليوم.

وإنا لنرجو الله أن يوفق المسلمين إلى أداء هذه الفريضة على وجهها الصحيح حتى يسعدوا ويفلحوا، وما ذلك على الله بعزيز، ويعملون بقول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) "من أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه فطاف به طوفًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" حتى لا يولون وجوههم نحو البلاد الأجنبية، والمصطافات اللبنانية لقصد تجارة أو توصل لشهوة ونحو ذلك، والله الموفق.

حكم الزار وما يتبعه

ومن مساوئ بعضهم الشنيعة التى سجلت عليه حمقًا ما بعده حمق، وخرقًا ما بعده خرق: استحضاره طائفة اكناوة لاستخراج الجن الذى حل بذات زوجته أو أمته أو ولده أو عن نفسه اعتقادًا منه أن ببركة حلول هذه الطائفة المجرمة محله ينتقل ذاك الجنى سيما والطائفة نفسها تدعى أنها من أخص سدنه الجن، وهذا كله من قلة عقله، وكثرة جهله.

والنساء لهن اعتقادات فى هذه الطائفة وخرافات أوهى من الخرافات الإسرائيلية، وتشبيهات خرجت عن الأوضاع، ومجتها النفوس والطباع.

وهذه الطائفة فى نفسها مركبة من نساء أو رجال، وغالبهم من نسل الحراتين، وكلهم فساق لا دين لهم، ولهم لعبات مثل قيام الغارات، أو تعفير الكلاب فى الحارات، يدورون دورة، كأنهم فى غارة أو غورة، وبيدهم طبول وقاقيش وزعيق وعفرة، وصياح وغبرة، يتصدع من فعلهم قلب الولد، ويزداد همًا ونكدًا، وبعض رؤسائهم حامل تلك المجنونة أو المجون على عاتقه يرقص بها، وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا، مكشوفة الوجه والذات عند الجلا، وهذا من أقبح أفعالهم، وأتعس أحوالهم إذ لا يجوز هذا فى الشرع، ولا يقول به أصل ولا فرع.

ورؤساء هذه الطائفة فى لعبها يتلونون تلون الحرباء، فمرة يظهرون فى لباس أسود مبرقع بالودع، ومرة أزرق، ومرة أخضر، ومرة أحمر، ومرة أصفر، وتجد النساء فى هذه الحالة يبذلن لهم أموالا طائلة، وربما أقبل بعضهم فى حالة هذه اللعبة على وجه كالعروس، ووجه هو كوجه تيوس، ويأخذ بيدها، ويلمس ما شاء من جسدها، وربما أخذها ووضعها فوق رأسه وصار

يرقص بها، ويذكر لـها أشياء يوهمهـا نه قد اطلع على مغيـبات تقع لها إلى غير ذلك مما ينبغى أن تنزه قلمنا عنه.

البدع التى يفعلها الناس يوم عاشوراء ونصف رمضان

ومن عوائدهم الشنيعة شـراؤهم لأولادهم يوم عاشوراء ونصف رمضان صورًا محرمة من الـصور الحيوانية القائمة بنفسـها ولها ظل وليس بها نقص، وهذه الصور النظر إليها حرام، ولا تدخل الملائكة بيتًا هى فيه.

انظر فى هذا الموضوع كتابتا [الكشف والتـبيان، عن حال أهل الزمان]، وكذلـك شراؤهم لما يضع من الحـلاوات على صورة الحـيوانات التى عـاشت اليوم ويدخلون ذلك دورهم ويجتمعون عليه، وذلك حرام بلا كلام.

ولكن الحرام ى زمـاننا هذا صار واجبًـا، والواجب صار حرامًـا، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء.

ومن مثالبهم فى يوم عاشوراء تبرج النساء الجميلات بأنواع الزينة لزيـرة القبـور فيتـأهبن يوم ذلك من طلوع الفجـر بالزينة الفاخـرة والملابس الزاخرة ويقصدون المقابر للزيارة، ومنهن من لا قصـد لها بذلك، وإنما غرضها الأهم ما يحدث فيـها من كثرة تلك الجموعات على اختـلاف أنواعها المعدة فى هذا اليوم المعروفة بالحلاق المهيأة للعب واللـهو وجميع أنواع الباطل نظير ما يكون عشية كل يوم بجامع الفناء عندنا بمراكش.

وهناك ترى اختلاط الرجال بالنساء كاختـلاط الدم باللحم فتتوصل المرأة فى ذلك اليوم لمنتـهى غرضها من الزنى، سـيما والزيارة للقبـور خارج البلاد ولا سكنى هناك ولا مراقـبة، وقد توصلت للحرية من كل وجـه، والشيطان

فى ذلك اليوم يفعل أفعاله المعروفة به من جلب الرجال على النساء وميلهن لغير أزواجهن، ومتى توصلت المرأة لشهوتها رجعت لديوثها حامدة شاكرة له على تلك النعمة العظمى التى أسدل عليها بها فى هذا اليوم، ألا وهى خروجها لتلك المقابر، ولو رأيت تبسمها فى وجهه وفرحها به وكثرة طاعتها له فى هذا اليوم طاعة لم يكن يراها لرأيت لعجب؟ فيظن الديوث المتعوس أن ذلك ببركة زيارة تلك القبور الرميمة فيتمنى أن لو كانت الأيام كلها عاشوراء، ولم يدر أن تلك الطاعة من وضع تلك البضاعة التى كانت سببًا فى اختلاط النسل وفساده.

ولعله يتحقق بها عند بروز تلك النطفة وإخراجها لعالم الظهور، فيرى إذن صورة لا تشابه صورته ولا صورة زوجته ولا صورة أقاربه: بل ربما يراها فى صورة عبد أسود أو أزرق العينين أو أجلف غليظ الأنف إلى غير ذلك من الصور التى تحزنه وتخزيه فى الدنيا والآخرة، (وما ربك بظلام للعبيد).

وقد نهى رسول الله ﷺ عن زيارتهن ولعنهن. فقال: "لعن الله زوارات القبور" رواه الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة، وقد قدمنا ما يقع من المفاسد فى هذا اليوم فى جبانات المسلمين بين الفتيات والشبان: بل والكهول، ولذلك سد هذا الباب رسول الله ﷺ بالنهى عنه، وقد أجاز لعلماء زيارة المتجالة التى انقطع منها أرباب الرجال أو التى لا ينظر إليها بشرط الأدب والدعاء أو القراءة أو التصدق لا غير. وأما إذا كانت تفعل حرامًا فحرام زيارتها.

وأما زيارة الرجال فمندوبة ووردت بها السنة. فقد كان رسول الله ﷺ يزور أهل البقيع ويدعو لهم. وقال "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

فـزوروها. فـإنها ترق القـلب، وتدمع العـين، وتذكر الآخـرة، ولا تقـولوا هجرًا" رواه الحاكم عن أنس. والهجر بضم فسكون: فحش الكلام.

ومن المناكـر الشنيـعـة التى ترتكبـهـا عـامـة أهل هذه الأرض فى ليلة عاشوراء وقبلها بنحو عشرة أيام استـعمالها للعبة المعروفة عندهم بالدقة هكذا وهى لعبـة قائمة من ثلاث آلات: تـعريجة وبندير وقـراقيش. أما أصـحاب التعريجة فعدد كـثير جدًا، وأما البندير فواحد لا غير كالقـراقيش، والتعريحة على لغتهم آلـة من تراب مجوفة مجلدة بالجلد، والبنـدير آلة كورية من عود مبطن بالجلد، والقراقيش آلة من حديد معروفة، أما نوع التعريجة فيباع بكثرة بعد استهلال المحرم، ولأهل هذه الحركة رواج وربح كـبير فتجدهم يستعدون لهذه الحركـة من أول السنة إلى آخرها، وربما بيع كل يوم من هذا النوع آلاف عديدة بداخل البـلاد وخارجها حيث صـار شراء هذه الآلة فى هذا الإبان من الفرائض العـينية، على كل أحد من أهل هذه الحـضرة، وكذا بخارجـها من جميع القبائل المتصلة بها واستوى فى ذلك العالم والجاهل، والعالى والسافل. والحـابل والنابل، والرفيـع والوضيع، والغنى والفـقـير، والمأمـور والأميـر. والعزيز والحقير، والكبير والصغير، ومن هذا الإبان والبلاد وأهله السالمون من هذه اللعبـة الباقيـة من آثار الجاهلية الأولى فى فـتنة عظيمة من صـياح تلك التعاريج على كثرتها ليلا ونهارًا.

ولا تسأل عما تقاسيه المرضى من هذا الصداع فى هذه الأيام: أى الأيام التى اجتمع فيها الحمق بجميع أنواعه.

وكيف لا وقد قام بهذه اللعـبة نساء أهل مراكش كلهم إلا ما قل وندر، وكذا الصبـيان والمراهقون والشبان والكهول والشـيوخ، ولو رأيت حالهم فى

هذه اللعنة خصوصًا الليلة العاشرة من المحرم المذكور، وحلقتهم كسلسلة منظمة بها من هؤلاء المجانين ما يقرب من الخمسمائة: بل زيد وهم فى عناء شديد من أجل تلك اللعبة التى كانت بدايتها من الثلث الأول من الليل وآخرها بعد طلوع الفجر.

وهكذا فى كل حومة من أحواء مراكش، والنساء كذلك فى الطرق والأزقة والدروب متبرجات بأنواع الزينة والملابس الفاخرة لحكمت على الجميع بالجنون والانسلاخ من الإنسانية، وبأن البلد فارغة من العلماء وممن بيدهم الحل والربط.

وهذه اللعبة إحدى المناكر الفظيعة التى عم بمراكش ضررها، وشاع شررها.

ولو اهتم علماء الوقت بهذه المعضلة أيما اهتمام، وأمروا جناب أمير الوقت حفظه الله ليأمر بتجنبها والانسلاخ عن خبثها لانقطعت مادتها.

ويقرب من هذه الليلة: الليلة السابعة والعشرون من رمضان. فلا تسأل عما يقع فيها من اختلاط النساء بالرجال بالزينة الفاخرة، والملابس الباهرة، وذلك من الثلث الأول من الليل إلى طلوع الفجر.

ولا مفهوم لمراكش فى هذا: بل حتى فى حضرة فاس وغيرها من المدن المغربية، وأعظمها فى ذلك مدينة فاس، ولا ناهى ولا منتهى، والأمر لله.

طواف الطائفة العيسوية على البيوت قرب إبان المولد النبوى .

ومن المناكر الشنيعة أيضًا: تطوف الطائفة العيسوية على أبواب الديار المراكشية قرب إبان المولد النبوى.

وهذه الطائفة التعسة النحسة الشيطانية قد افترقت على عدة فرق كادت أن تكون كفرق بنى إسرائيل الاثنتين والسبعين، وكل حومة من أحوام مراكش بفرقة منها، وبيد كل منها طبل وشبابات وبنادير ورفع الأعلام، وآلاتها هذه لها أصوات بشعة تمجها الأسماع وتأباها الطباع، وتتصدع من صياحها الرءوس خصوصًا المرضى، ومهما توجهت إحدى هذه الطوائف المنحوسة لدرب من الدروب تجد النساء مصطفة بأبواب الديار وفوق السطوح تنتظر إقبالها عليها لأجل دفع الزيارة والنذور.

فمنهن من يرمى لهم ثيابًا أو سكرًا أو طعامًا أو مالا، وهذا حال الصالحات منهن، وأما الفاجرات فيخرجن إليهن ويخالطهن مخالطة الزوج لزوجته. فمنهن من ترقص بين أيديهم عند زيادة ارتفاع أصوات تلك الآلات حتى تنكشف عورتها بمرأى منهم، ومنهم من يأخذ بيد من أسكره حسنها وخبل عقله وأعمى بصره وبصيرته، ويصبر إذن يبرق عليها ويلحس يدها لأجل أمتها من لسع العقارب الصيفية كما يزعم، وليس مقصوده هذا بل لو وجد السبيل وساعده من كان من زمرته لأفرغ حاجته منها بين أيديهم، وربما كان ذلك سببًا لوقت آخر، وربما قدم زوجها وهى على تلك الحالة فلا يتكلم معها بكلمة تغضبها: لأنه كذلك يعتقد أن هذه الطائفة المجرمة من صلحاء الوقت.

وغاب عن الديوث الأعمى أن هذه الطائفة أقوام اتخـذوا حيلا شيطانية لاقتناص الدنيـا، وهم شياطين مـتعددة. فمنهم من يـمسك الحية العظيـمة، ويدور بها على الأبواب وفى الأزقة والشوارع ويقـول المدد يا ابن عيسى، وما ذاك إلا أنه جـوع تلك الحيـة حـتى أشرفت على الموت ولـم يبق من قوتهـا الأمحض الحركة لأجل ما نقاسيه من الجوع، ومنهم من يزيل أسنانها حتى لا يمكن لهـا أن تلدغـه، ومنهم من يدهن يديه بأدهان خـاصـة لدفع ألم السم وهى معروفة. انـظر هذا الموضوع فى كتابنا [اليواقيت العـصرية] تر العجب، ومنهم من يقطع شوكة العقرب، وهكذا، والحيل كثيرة فى كل حركة، ومنهم صاحب بندير لا حـركة له إلا السعى على الأبواب لأجل أن يجد فـرصة فى سرقة أو نكاح امـرأة، وغالبهم لصوص إلا أنهم تسـتروا بالسؤال، وكم لهم من نظيـر، ومنهم أولاد سـد البقـال أصحـاب الكذب الحـبريت والتـرهات الغريبة.

وبالجملة فكل من أعطى لهـؤلاء شيئًا من المال فقـد أعانهم على ما هم فيه من الضلال، على ضلالهم وقبائح هؤلاء أشهر من أن تذكر.

وسنفرد لها تأليـفًا ولغيرها من مساوى أهل كل طريق: خـصوصًا هذه الطرق الوقتية، ويـسمى [سبيل التحقيق، فى كـشف الغطاء عن مساوى أهل كل طريق] زيادة على مـا أشـرنا به فى هذه الـرحلة، والله الموفق، ولا رب سواه.

حال غالب الناس فى إخراج زكاة الفطر

ومن مثـالب غالب أهل هذه المـدينة التسـاهل فى زكاة الفطر فـتارة لا يخرجها الرجل أصلا وتارة يخرجها ن نفسه فيط، مع أن الشارع أوجبها عليه

عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته كأب وأم فقيرين وأولاد وزوجة، وقد ورد "صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر" قال الحافظ المنذرى رواه أبو حفص بن شاهين فى فضائل رمضان عن جرير (رضى الله عنه)، وقوله لا يرفع إلا بزكاة الفطر: أى بإخراجها عنه وعمن تلزمه نفقته ولو بتسليف إن وجد من يسلفه ويرجو الوفاء، بل ربما أخرجها نظرًا لوجوبها عليه وأعطاها لأمه الفقيرة مثلا جهلا منه بالحكم والفقه: إذ كل من تلزمه نفقته لا تدفع له الزكاة، وكثيرًا ما تقع العامة فى مثل هذا فلينبهوا.

ما يصنعه الناس فى جلد الأضاحى

ومن مثالبهم أنهم يبيعون جلد الأضاحى وهو ممنوع شرعًا لقوله ﷺ "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له" رواه الحاكم عن أبى هريرة، ولو تصدق به لكان أليق بشأنها حيث أنها خارجة مخرج الصدقات، ويجوز الانتفاع به فى منافع البيت إن لم يتصدق به فاعلم ذلك.

تغيير الناس ألفاظ الذكر والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ

ومن مناكرهم الشنيعة أيضًا تغييرهم لألفاظ الذكر الواردة فى السنة والزيادة فيها بما ليس منها كقولهم لا إله إلا الله رب وحده لا شريك له الخ ولفظه رب زيادة عن الوارد، ولا يخفى أن الزيادة فيه ممنوعة بالاتفاق. وأيضًا فالزيادة مانعة من ورود النفحات.

ومن ذلك الاستغفار فالغالب على ألسنة أهل الوقت أنهم يقولون حالة اشتغالهم بالاستغفار أستغفر الله بسكون الراء: أى بصيغة الأمر لا بصيغة المضارع، وهو ضم الراء.

فلهذا تراهم لا يؤثر فيهم الاستغفار، وإن استغفروا آناء الليل وأطراف النهار، وذلك حيث أخرجوه عن قانونه الرعى. ولأجل هذا قيل استغفارنا يحتاج للاستغفار: لأن الأشياء كلها إذا أخرجت عن قوانينها الوضعية لها تعد وزرًا فاعلم هذا.

ومن ذلك قولهم: اللهم صل علك أرسول الله بهذه الصيغة التى لم ترد فى السنة، ولا يخفى ما فيها من البشاعة: لأن المعنى الذى يقتضيه هذا اللفظ هو أنهم يطلبون من الله على نفسه الكريمة ثم بعد ذلك يقولون: أرسول الله بتقديم همزة الاستفهام، والمشهورون بهذه الهمجية والتصلية التى لم يأت بها كتاب ولا سنة: الطائفة المعروفة بالسياقة لأضرحة بعض أولياء مراكش يوم الأربعاء. فهى دينهم فى جميع مجالسهم.

ولقد كلموا مرارًا فى شأنها والانسلاخ منها فأبوا إلا بالعكوف على اتباع الأهواء، والميل عن جادة الهدى. زيادة على ما هم فيه من تلك الحالة السيئة.

ومن ذلك قول غالب الناس إذا فرغ من شغل أصلا على النبى بهذا اللفظ البشع، ومعناه النار على النبى. قال فى المختار: صليت اللحم وغيره من باب رمى: شويته، ويقال أيضًا صليت الرجل نارًا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها. فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد إحراقه. قلت أصليته بالألف وصليته تصلية، وقرئ (ويصلى سعيرا) ومن خفف فهو من قولهم: صلى فلان النار بالكسر يصلى صليًا: أى احتراق. قال الله (هم أولى بها صليا) اهـ.

ومن ذلك قولهم فى الدعاء الله يعمل سيدى ربى بهذه الصيغة المنكرة المقتضية للتشريك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

وبالجملة فغالب أذكار الناس اليوم، وكذا أدعيتهم كلها على صورة منكرة، واستوى فى هذا العالم والجاهل، والأمر لله.

عوائد غالب الناس فى ليالى رمضان

فقال الشيخ عبد الهادى لعبد الباسط: وما قولك ى عوائد أهل أرضك فى شهر رمضان؟ قال عبد الباسط: أما عوائدهم فيه فأمور تزرى بأمر الدين، وذلك من تأخر الزمان وفساد الخلق، وهمجية الطباع.

من ذلك قولهم. انكسر ظهره: يقوله الصائم إذا اشتد عليه حال الصيام. قال ابن حجر فى الزواجر: تمنى زوال رمضان من الكبائر ا هـ. وهو وإن كان بغضًا للعبادة يخشى منه الكفر، وأمثال هذا القول.

ومما يخالف تعظيم شعائر الله: قول العوام آخر رمضان أنه: أى رمضان كادت روحه أن تخرج.

ومنه أيضًا قولهم: رمضان فى هذا العام صعب أو مر أو ثقيل أو ضايقنا أو متى يفارقنا، وهذا كثير.

فبعد أن كان ينتظره المسلم كما ينتظر حبيبًا غائبًا ويفرح بقدومه كما يفرح لقدوم غائبه: أصبح عند بعض المسلمين مكروه المجىء.

ومن مثالبهم اعتناقهم الصوم دون الصلاة، وربما صام بعضهم الأشهر الثلاثة رياء وسمعة.

فانظر إلى هذا الغبى الجهول كيف هانت عليه مقاساة الجوع والعطش

ولم يرغب فى أداء أربع ركعات زمنهن أربع دقائق، وكذا أخواتها، وفيهن نجاحه، وكيف اعتقد أن الله يقبل منه صومه مع تركه عماد الدين وأساسه، ألا وهى الصلاة.

وكثيراً ما نرى هذا الأمر فى النساء وسكوت الرجال على ذلك مع اختلاف العلماء فى جواز نكاحهن بهذه المثابة.

ومن الناس اليوم من لا يصومه البتة مع كمال صحته. وإنما جوز له ذلك التداخل مع الأوروبيين، وربما صام بعضه وترك الباقى.

ومن عيوب غالبهم اتخاذ سهرات فى دويرات أهل الفسق خارجة عن طور أهل الدين ممتلئة بالاغتياب والذهاب والمجىء فيما يضر ولا ينفع، وربما كان هناك قارئ اتخذوه شهرة كما هى عادة الناس اليوم لأجل أن يغسلوا تلك الجرائم والكبائر التى أحبطت أعمالهم وتركتهم فى غيهم يعمهون وهيهات هيهات، بل ما يزيدهم ذلك إلا فتنة وضلالة حيث لم يعملوا به ووضعوه فى غير محله.

ثم تجد فى مثل هذه المجالس الشيطانية منهم المنكب على اللعب بالشطرنج، ومنهم المنكب على اللعب بالنرد أو الضامة أو الكرطة، ومنهم المنكب على سماع الأوتار والمزامير، ومنهم المنكب على قراءة الأزلية والعنترية وألف ليلة.

وضف لهذا استعمالهم لشرب الدخان بكثرة حتى ترى الدخان متصاعداً من بينهم كغبار ظهر بقوة صير من حل به لا يكاد ينظر ما أمامه، فترى الكل غرقى فيما هم فيه حتى إذا حان السهر تناولوا لذائذ الأطعمة وناموا نومة الغفلة فلا يصحو أحدهم إلا والشمس فى رابعة النهار.

ومنهم من لا يستيقظ إلا بعد العصر أو قرب المغرب. وهؤلاء لما انعكست طبيعتهم عكسوا الزمان قصيراً ليله نهار ونهاره ليلا.

وكان الناس فى القديم فى هذا الشهر ما بين قائم يصلى وذاكر وملح فى الدعاء، وصار غالب أهل الوقت ما بين مغتاب وسباب وغافل رافل فى حلل الشقاء.

ومن عيوبهم أيضًا فى هذا الشهر صرف أوقات النار فى الباطل. فقد رأيناهم إذا سئموا الصوم واستطالوا اليوم عمدوا إلى قطع اليوم فى النوم كما قدمنا أو إلى أكاذيب دونها البطلة من الغافلين لجمع الحطام الفانى كقصة ألف ليلة وليلة، أو الأزلية، أو العنترية، أو كتاب الملك الهضام، أو رأس الغول، أو كتاب أبو زيد الهلالى، أو كتب الروايات فى الغول والهزل، والجرائد المجموعة من حيث هيان بن بيان، فيمضون اليوم يملأون صحائفهم بأكاذيب الكاذبين وأحاديث المبطلين، يرون فى ذلك أكبر لذائذهم، وحق إن القلب إذا صرف عن الله وعزب عن الحق عشق الغفلة واللهو، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال "لست من دد ولا الدد منى" رواه البخارى فى الأدب عن أنس (رضى الله عنه). والدد: اللهو واللعب.

فانظر إلى تبرى رسول الله ﷺ من اللهو وأهله، وبعضهم يقضى اليوم فى لعب الكرطة أو الضامة أو غير ذلك:

ويا ليت أمورهم تقف عند هذا الحد، بل ربما ضربوا الدف، أو المزمار، اشتغلوا بالغناء.

حكم اتخاذ الفونوغراف

ولقد زاد عتوهم فاتخذوا آلة تسمى عند الفرنجة "الفونوغراف" وهى المعروفة عندنا بمكنة الغناء، لا يتخذها إلا من لا خلاق له عند الله، ولا يتكلم فيها بالحيلة إلا أهل الأهواء الضالون المضلون.

إذ لا فرق بينها وبين آلات اللهو المحرمة بالكتاب والسنة.

فاتخاذها حرام، والتعيش بكرائها من أكل أموال الناس بالباطل، وكل ما يجرى على آلات اللهو يجرى عليها، بل هى أعظم لكونها اشتملت على مناكر عديدة، كحكاية أصوات النساء التى تكاد تحرك دواعى العشق والشهوات، ولو من الشيوخ. ولا يخفى أن سماع أصوات النساء على سبيل التلذذ حرام.

وزد على ذلك حكاية أصواتهن فى الموالات المشرقة، والمغربية، والتونسية، والأندلسية، والجزائرية، والأوروبية، والتكسر، والتفنج الذى يقتضى فناء الحس، حتى يغيب السامع عن حواسه.

وربما خيل له الاستمداد الشيطانى حالة تلك الأصوات المتنوعة كأنه بين أيدهن، وربما خرجه ذلك الخيال إلى دائرة الوجود، فيصبر يجتهد فى تحصيل نظير ما سمعه من تلك الأصوات المتنوعة بأى وجه كان: من سرقة، أو خيانة، أو ادعاء حق على الغير بباطل، أو بشهادة زور، ولو يبيع بعض ما يملكه، حتى يدركه على وفق مراده.

إذ القائم بهذه الأصوات على اختلاف أنواعها اليوم موجود عندنا بمراكش، بل وفى كل مدينة من مدن المغرب.

والنساء المختصون بهذه الحركة معروفون، ولهن رئيس ومراقب، فكل من أرادهن لأجل هذا العمل أو غيره كما لا يخفى، ذهب إلى رئيسهن وعين له منهن ما يريد ولو واحدة، فينفذ له ذلك بعد إعطاء شيء من المال.

وهذا الأمر شائع في الوقت لا لوم على مرتكبه من جهة المتولين، والأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذه إحدى المناكر التي صار عملها في جسن الدين كعمل المنشار في جسم الخشب، وكاد الدين وأهله أن يموت كمدا.

وزد على ما ذكر مما يتعلق بهذه الآلة المحرمة التصريح بالقصائد الملحونة الممزوجة بالسفه، والفحش، والوقاحة. والعشق.

وزد على ذلك الحكايات والتمثيلات الموضوعة بها، المشتملة على مساوى الخلق، والتلاعب بالدين، وكشف جلباب الحياء إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره، فإن لم تكن بهذا حرامًا، واتخاذها حرامًا، وبيعها وشراؤها حرامًا، وسماعها حرامًا، فليس لله على وجه الأرض حرام.

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال "لعن المغنى والمغنى له" رواه الديلمي في الفردوس.

وهذه الآلة الخبيثة الذميمة، والداهية العظيمة، التي أصيب بها أهل هذا القرن الرابع عشر، قد انتشرت وعم ضررها، فلا تجد طريقًا من طرق مراكش، ولا سوقًا من أسواقها سالما منها، بل وكذا غيرها من مدن المغرب.

وقد اتخذها اليوم عدد من أرباب الحوانيت تجارة، وقد قدمنا أن التعيش بها من أكل أموال الناس بالباطل، وكل ما يجرى على آلة اللهو يجرى

عليها، بل هى أكبر فى الإثم بسبب تلك الوجوه التى قررناها، خلافًا للزاعمين أنها من ثمرات هذا العصر الذى هو عصر المدنية والعلم كما يزعمون وهذا هو الزعم الزيفى، الذى صير أبناء هذا الزمن كالذين قال الله فيهم [لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون].

وهل هذه الثمرات التى ادعوها؟ نافعة أو ضارة، وهل وصلت إلينا من طريق المقت والاختيار، أو من طريق المنة والاعتبار.

بل والله أنها لمن طريق المقت والاختبار، ولكن أهل هذا العصر لا يشعرون.

ولما كان حالهم هكذا توالت فيهم الزرايا، وتعاقبت عليهم النكبات فلا ترى مصرًا من الأمصار فى الكرة الأرضية، ولا قرية من القرى إلا وقد انتشرت فى أفنانها الفتن، وتوطنت فى بيوتها الرزايا والمحن: إما دينية، وإما دنيوية.

ومن المعلوم الضرورى أن الرزايا الدينية لا تصيب سعيدًا أصلا، ولا تطرق إلى قلوب أهل الإيمان. وأما الرزايا الدنيوية فقد يصاب بها السعداء كما يصاب بها الأشقياء، وذلك لأن الله تبارك وتعالى يعطى الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب، كما قال رسول الله ﷺ. والدين هو طريق الآخرة، وهذه الطريق هى طريق النجاة للسعداء، فلو رزئ فيها سعيد لأصبح شقيًا.

وأما رزايا الدنيا فقد تكون سببًا لنعيم الآخرة، فإذا رزئ السعيد فى الدنيا فقد تمت سعادة آخرته. نرجع لما نحن بصدده.

ومن أعظم آفات هذه الآلة: أن الرجل الجهول يساعد زوجته على كرائها أو شرائها، إن كان غنيًا فيصرف فيها الأموال الباهظة، ويعلم أنها جمعت فنونًا من ضروب العشق والفساد والتغنى والرقص على أفظع تلك الهيئات المنكرة المتعددة من عدة أرضين، بل من المعمورة كلها، فيصبح الرجل وقد امتلأت حافظة زوجته بتلك المناكر على أنواعها.

ولكن الناس اليوم لا يفرقون بين الضلال والهدى، أليس من الفسق، بل من العار أن يساعد الرجل زوجته على إدخال منكر صريح لبيته، وذكر مساوى جمة كانت عنها بمعزل، وكذا إدخال العياطات والشيخة والحدرة لأجل الحناء التى ترتكبها فى كل سنة، بل فى كل شهر.

وهى من أعظم شبكاتهن الشيطانية، وكم لهن فيها من المساوى الفظيعة التى ينبغى لنا أن ننزه قلمنا عن إفشائها.

فتجد الرجل إذن يتحمل حول تلك الحافات والمهاوى ما يكاد يصيره رفا خالصًا للديون العقارية، وخلا لتلك الأزمة التى يعانى بوجودها ما يغيب به عن الضرورات الدينية، ولكل [فإنا لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور].

البدع المرتكبة فى الصوم

فقال عبد الهادى: حسبك أتمم لنا عوائد قومك فى الصوم، قال نعم

ومن مثالبهم اشتغالهم بالفطور عن الصلاة، فيجلس الرجل فى بيته للأكل والشرب، ويصلى المغرب مع العشاء إن لم يبيتهما، فهذا ترك دينه بحظ الطعام والشراب، والمغرب عندنا معشر المالكية وقتها الإختيارى الذى

من أخرها عنه لغير عـذر شرعى، فقد أثم إثمًا كبيـرً هو بعد غروب الشمس بقدر فعلها بعد تحصيل شروطها.

وقد أورد أن عـبد الله بن عـمر بن الخطاب (رضـى الله عنهمـا) آخر المغرب حتى رأى نجمين فى السماء، فأعتق رقبتين كفارة لذلك التأخير.

وبعضهم من أهل الدين يشتغل بالـصلاة من غير تقديم فطر على تمر أو غيـره، وذلك أيضًا مخـالف لعمل أهل الدين من المسلمـين. إذ السنة تقديم الفطر على تمرة أو تمرات مثلا، أو جرعة ماء لا غير ثم يصلى المغرب.

ففى الحـديث الشريف أن رسول الله ﷺ قـال "لا تزال أمتى بخيـر ما عجلوا الفطور، وأخروا السحور" رواه أحمد فى مسنده عن أبى ذر.

ومن مثالبهم تقديم السحور، فيتسحرون فى نصف الليل، ولو لم يكن فيـه إلا مخـالفة السنة المحـمدية، وإرشـادات النبى ﷺ التى جمـعت الحكم السنية التى تدق عن نظر الجاهل لكفى ذمًا.

ولتعلم أن الحكمة فى تقديم الفطر إراحة النفس من بعض حظها، وفى تأخير السحور إعانة لهم على معاناة الأشغال الدينية والدنيوية.

إذ من أكل قبيل الفـجر بقليل فكأنه تناول غذاء الصـباح، فيكون ذلك أعون له على أمره.

وفى صحـيح الإمام البخارى عن أنـس بن مالك (رضى الله عنه) "أن نبى الله ﷺ وزيد بن ثابت (رضى الله عنه تسحرا، فلما فرغا من سحورهما قام نبى الـله ﷺ إلى الصلاة فصـلى* قلنا لأنس كم كان بين فـراغهـما من سحورهمـا ودخولهما فى الصلاة؟ قـال كقدر ما يقرأ الرجل خـمسين-آية"*

قلت: وقد قدر المحققون ذلك بقدر ما يقرب من عشرة دقائق فى القراءة المتوسطة، خلافًا لمن زعم أن ذلك قدر عشرين دقيقة.

ومن مثالبهم الشنيعة اتخاذهم أصحاب النفير بداخل بيوت الله فوق الصوامع فى شهر رمضان خصوصًا مساجدها الكبار.

ولا شك أن هذا الفعل من البدع القبيحة التى حدثت فى الدين. وأيضًا فأصحاب هذه الحرفة من السفه بمكان.

ومنهم من يرتكب أعلى وجوه الفسق من زنا ولواط وشرب خمر، وشرب دخان بداخل المسجد، أو بمنارته. ولا فرق بين أصحاب النفير والشبابة: أى الغطاء، فحكم الكل واحد.

ومن أغرب ما يسمع أنك ترى السواد الأعظم من المسلمين، وفيهم الأمراء والعلماء، والكل يدعى الصلابة فى دينه، فتراهم لا يتألمون من هذه البدعة الشنيعة التى تزرى بالدين وأهله، بل قصاراهم فيها إذا عرضت عليهم المساوئ الحالة بها والمتولدة منها أن يسلوا أنفسهم بأن هذه المفظعات كانت سابقًا، والحجة على السابق، وهذا العذر لا يجدى شيئًا.

على أن الأولى والأليق بأهل هذه الحرفة أن يؤمروا بالمرور فى تلك الساعات على أبواب الديار، ويدورون على الدروب دورة بعد دورة إلى أن يتموا ذلك القدر المعروف من خدمتهم بأعلى الصوامع.

وهذا أعظم منفعة للناس فى الاستيقاظ بخلاف العمل الذى هم عليه اليوم، فمن الناس من يسمعهم إذا كان قريبًا منهم، ومنهم من لا يسمع إما لبعد الصوامع، وإما لخيانتهم التى ارتكبوها فى هذه الأيام من كونهم يروحون

على أنفسهم حتى يخرج ذلك النفخ من بين أشداقهم خفيفًا وهو يقتضى خفة صوت النفير ولابد.

وهذه الخيانة قد شعر الناس بها اليوم، واشتكوا من ذلك مرارًا، والأصوب فى حقهم ما ذكرنا.

عيوب غالب القراء اليوم

ومن عيوب غالب القراء اليوم خصوصًا أصحاب التراويح أنهم غيروا كتاب الله بمغانيهم وأصواتهم التى يستهوون بها عقول البسطاء من أهل الإسلام الذين لم يتذوقوا روح الدين ولم يعرفوا معنى الإيمان، فيجرى القارئ على حسب غنائه، لا على حسب قاعدة القراءة، فيأثم ويأثم الحاضرون.

فلا تشك فى حرمة هذه القواعد من هذا القارئ، ووزر من دعاه إليها وسمعه، لأن القرآن نزل على رسول الله ﷺ بأحكام مخصوصة وتلاوة معروفة من حاد عنها فسق عند أهل العلم قاطبة.

فتراه يذهب ويجىء فى التغنى بكتاب الله حسب هواه حتى لا تظنه إلا رب عود أو شبابة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وبالجملة فقد أصبح أمر الدين لهوًا عند البعض وتركا عند الآخرين.

ومن المثالب والمناكر التى لا يحل السكوت عنها ما يقع فى ليلة القدر من لعب الصبيان وإقدامهم على الإمامة التى ليسوا لها بأهل. وسكوت من بيدهم الحل والربط على ذلك.

المناكر التى يرتكبها الناس فى زكاة الفطر

ومن مناكـرهم فى صدقة الفطر زيـادة على ما قدمنا، وإن كـان جلهم يخل بها كل البـخل. ولكن لهم فيـها مناكر: منهـا إعطاء الرجل أمه أو أباه زكاة فـطره، وهى بهذه المثـابة باطلة، إذ لا يجوز شـرعًا إعطاؤها لمن تلـزمه نفقته، والأم والأب الفقـيران تجب نفقتهما عليه، فـلا تجوز لهما، بل يخرج عنهما كمـا ينفق عليهما، ومثلهما فى ذلك كل من تلزمه نـفقته، بل وخادم أحد أبويه الرقيق كما نص على ذلك الفقهاء.

ولا ينبغى للرجل أن يولى زوجته أمر الزكاة، لأنهـا لا تصرفها إلا لغير مستحقهـا، وذلك كإعطائهما لقيمة الحمام والخـباز والقابلة والكراب، وأمثال هؤلاء.

ومن مثالبهم دفع ردىء الحب فيها، فتراهم يبحثون على ردىء الزرع أو الشعير ليخرجوها منه، وهذا لا يجوز.

ومن مثالبهم إخراجها نم غير غالبِ القوت، وذلك لا يجوز إلا إن كان المخرج مـن أغلى مما هو غالب القـوت كأن يخـرج برًا، وغالب قـوت البلد الشعير، فهذا مستحسن لا كلام فيه، وأما العكس فلا يجوز كما شاهدناه من عدد من البخلاء.

ومن مثالبهم تسـاهل الفقراء فى إخراجها مع أن الفقـه يوجب إخراجها مما فضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد ولو كان صاعًا واحدًا، بل وجب أن يخرجهـا متى قدر على التسلف عن نفـسه ومن تلزمه نفقـته كوالديه وأولاده وزوجته ومن ذلك من ولد قبل فجر الـعيد. وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "صاع من بر أو قمح على كل امرئ صغيـر أو كبير حر أو عبد

ذكر أو أنثى غنى أو فقير" رواه الإمام أحمد فى مسنده. وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين" رواه البخارى ومسلم.

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات". ولا بد من إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد لتكون زكاة مقبولة كما جاء فى الحديث، ولينتفع بها الفقير والمسكين فى وقت الحاجة.

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين كما قال البخارى نقلا عن أفعال السلف، والأولى تخصيصها بالفقراء والمساكين دون غيرهم من بقية الأصناف الثمانية، لأن رسول الله ﷺ كان يخصهم بها، ومن تفكر فى أحوال المسلمين، وعلم أن إخراجها فى ليلة العيد أو قبلة بيوم أو يومين من الحنطة لا يكاد يفيد الفقير ولا يغنيه فى ذلك اليوم عن المسألة وجد أنه لا مانع من إخراج قيمة الحب والحنطة ونحوهما، لأن القيمة أنفع للفقير وأيسر، ومراعاة بقاء الروح والمقصود فى التشريع أولى من الوقوف عند الألفاظ، والأعمال بالنيات.

حكم النذر لأضرحة الأولياء وشد الرحال إليها

ثم إن الشيخ عبد الهادى كان الله له ورضى عنه قال: لعبد الباسط وما قولك فى عوائد أهل بلدك فى النذور لأضرحة الأولياء، وشد الرحال إليهم؟ فقال: أما من حيث النذور فى بلادنا اليوم، فلهم فيها ابتداعات قضت على

أمر الدين، وتمكن إبليس اللعين من إدخال الفساد على الإسلام وهله من هذا الباب حتى لا ترى مسلمًا اليوم إلا وهو بالثنى أشبه إلا ما قل.

جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين ويغرس فى قلوبهم الشرف والعزة والأنفة والحمية وليعتق رقابهم من رق العبودية لغير الله فلا يذل صغيرهم لكبيرهم وولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذى سلطن بينهم سلطان إلا بالحق والعدل.

وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح فى نفوس المسلمين قى العصور الأولى فكانوا ذوى أنفة وعزة وإباء وغيرة يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده فى سلطانه قف مكانك ولا تغل فى تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق، لا رب معبود واعلم أنه لا إله إلا الله.

هذه صورة من صور نفوس المسلمين فى عصر التوحيد. أما اليوم، وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطل تارة والظاهر أخرى. فقد ذلت رقابهم، وخفقت رءوسهم، وصرعت نفوسهم، وفترت حميتهم، فرضوا بخطة الخسف واستنامو إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم فغلبوهم على أمرهم، وملكوا نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم، فأصبحوا من الخاسرين.

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهنائها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وأن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر فى منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقفون بين يدى

السبتى والجـزولى والغزوانى والتباغ والسهـيلى واليحصبى وأمـثالهم فى سائر الأقطار كما يقفون بين يدى الله.

يا قداة الأمة ورؤساءها عذرنا العامة فى إشراكها وفساد عقائدها. وقلنا أن العامى أقصر نظرًا وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة فى النصب والتماثيل والأضرحة والقبـور، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله وتقرأون صـفاته ونعوته، وتفـهمون مـعنى قوله تعالـى (إنما الغيب لله) وقوله مخـاطبا لنبيه مولانا مـحمد ﷺ (قال لا أملك لنفسى نفـعا ولا ضرا) وقوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

أنتم تقولون: فى صباحكم ومسـائكم وغدوكم ورواحكم: كل خير فى اتباع السلف، وكل شر فى ابتداع الخلف.

فهل تعـملون أن السلف الصالح كـانوا يجصصـون قبـرا، أو يتوسلون بضريح، وهل تعملون أن واحد منهم وقف عند قـبر النبى ﷺ، أو قبر أحد من أصحـابه وآل بيته يسـأله قضاء حـاجة، أو تفريج كـربة وهل تعملون أن السبـتى والجيلانى والدسوقى وأمـثالهم أكرم عند الله وأعظم وسـيلة إليه من الأنبياء والصحابة والتابعين.

وهل تعملون أن النبى ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل، نهى عنها عبثا ولعـبا، أم مخالفة أن تعيد للمسلمـين جاهليتهم الأولى. وأى فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور ما دام كل منهما يجر إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد.

والله ما جهلتم شـيئا من هذا، ولكنكم آثرتم الحيـاة الدنيا على الآخرة فعـاقبـكم الله على ذلك بسلب نعـمتكم، وانتـقاص أمـركم، وسلط عليكم

أعداءكم، يسلبون أوطانكم، ويستعبدون رقابكم، ويخربون دياركم، والله شديد العقاب.

فالتفت إليه الشيخ عبد الهادى وقال: لله درك، فلا أصلح للوقت من درء هذه المفاسد التى قد عم ضررها، وشاع شررها. زدنا من هاتيك المحادثات لعلها تكون دواء لأهل عصرنا، ونقبل مرارتها بدون استثقال.

ومن المعلوم أن من لم يتحمل المرارة لم يتذوق الحلاوة، والدواء المر يكون فى الغالب مفيدا للجسم.

فقال عبد الباسط: ذكر الإمام الشاطبى فى الاعتصام أنه ثبت فى الصحاح عن الصحابة (رضى الله عنهم) أنهم كانوا يتبركون بأشياء من رسول الله ﷺ.

ففى صحيح البخارى عن أبى جحيفة (رضى الله عنه) قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتى بوضوء فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، فيتمسحون به" الحديث. وفيه "كان إذا توضأ يقتتلون على وضوئه".

وعن المسور (رضى الله عنه) فى حديث الحديبية "وما انتخم النبى ﷺ نخامة إلا وضعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده.

وخرج غيره من ذلك كثيرا فى التبرك بشعره وثوبه وغيرهما، حتى أنه مس بإصبعه بيده، فلم يحلق ذلك الشعر الذى مسه عليه الصلاة والسلام حتى مات.

وبالغ بعضهم فى ذلك حتى شرب دم حجامته إلى أشياء كهذه كثيرة

فالظاهر فى مثل هذا النوع أن يكون مشروعًا فى حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله ﷺ، وأن يترك بفضل وضوئه، ويتدلك بنخامته، ويتشفى بآثاره كلها، ويرجى نحو ما كان فى آثار المتبوع ﷺ.

إلا أنه عارضنا فى ذلك أصل مقطوع به فى متنه، مشكل فى تنزيله وهو أن الصحابة (رضى الله عنه) بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبى ﷺ بعده فى الأمة أفضل من أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)، فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر (رضى الله عنه)، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم على، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم فى الأمة.

ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التى اتبعوا فيها النبى ﷺ، فهو إذن إجماع منهم على ترك الأشياء، وبقى النظر فى وجه ترك ما تركوا منه.

ويحتمل وجهين: أحدهما أن يعتقدوا فيه الاختصاص وأن مرتبة النبوة تسع ذلك كله للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير لأنه عليه السلام كان نورًا كله فى ظاهره وباطنه. فمن التمس منه نورًا وجده على أى جهة التمسه، بخلاف غيره من الأمة، وإن حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ما شاء الله لا يبلغ مبلغه على حال توازيه فى مرتبته ولا تقاربه به، فصار هذا النوع مختصابه كاختصاصه بنكاح ما زاد على الأربع وإحلال بعض الواهبات نفسها له وعدم وجوب القسم عليه للزوجات وشبه ذلك. فعلى هذا المأخذ لا يصح لمن بعده الاقتداء به فى التبرك على أحد تك الوجوه ونحوها.

ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة كما كان الاقتداء به فى الزيادة على أربع نسوة بدعة.

الثانى أن لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب سد الذرائع خوفًا من أن يجعل ذلك سنة كما تقدم ذكره فى اتباع الآثار والنهى عن ذلك، أو لأن العامة لا تقتصر فى ذلك على حده، بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ بجهلها فى التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد فى التبرك به ما ليس فيه.

وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر (رضى الله عنه) الشجرة التى بويع تحتها رسول الله ﷺ بل هو كان أصل عبادة الأوثان فى الأمم الخالية، حسبما ذكره أهل السير، فخاف عمر (رضى الله عنه) أن يتمادى الحال فى الصلاة إلى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله. فكذلك يتفق عند التوغل فى التعظيم.

ولقد حكى الفرغانى مذيل تاريخ الطبرى عن الحلاج: أن أصحابه بالغوا فى التبرك به، حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته، حتى ادعوا فيه الإلهية، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ولأن الولاية وإن ظهر لها فى الظاهر آثار، فقد يخفى أمرها لأنها فى الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولى، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات: هى من باب الشعوذة، لا من باب الكرامة، أو من باب السحر، أو الخواص، أو غير ذلك.

والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر، فيعظمون من ليس بعظيم ويقتدون بمن لا قدوة له، وهو الضلال البعيد إلى غير ذلك من

المفاسد، فتركوا العمل بما تقدم وإن كان له أصل لما يلزم عليه من الفساد فى الدين ! هـ.

ثم قال عبد الباسط: ولنذكر بعض ما شاهدته تنبيهًا لمن آمن بالله ورسوله ﷺ عساه يكون زجرًا لمن سبقت له السعادة.

فمنها ذهابهم إلى قبر الصالح بالهدايا لذبحها هناك لأجل غرض دنيوى لهم أو لدفع بلاء حل بهم، أو لأجل امرأة عاطلة من الحمل لتحمل، أو بائرة لم تتزوج، أو تمليك محل من المحلات، ونحو هذه الدواهى.

قال الإمام مالك (رضى الله عنه) فى المدونة: سوق الهدايا لغير مكة بدعة وضلال.

فلا يجوز الذهاب بكبش أو غيره إلى قبر ولى لما فيه من تغيير معالم الشريعة حيث أشبه فى ذلك هدى الكعبة، ولم يرد به نص عن صاحب الشرع ﷺ، وهو من البدع والضلال كما قدمنا.

ولهم فى النذور إلى قبور الأولياء تسوء من آمن بالله واليوم الآخر فمنها أن بعضهم إذا أراد أن يقدم هديته لولى من الأولياء خصوصًا إذا قوى اعتقاده فى ذلك الولى بحيث صار عنده فى منزلة الألوهية من كونه يضر وينفع، فتراه يوجه ثورًا من أحسن ما يكون مزينًا بأنواع من لباس الحرير، والطبول تضرب عليه، والأعلام فوق رأسه، والناس ذكورًا وأناثًا دائرون به دور الخاتم إلى أن يصل بهذه العادة التى غابت عن الجاهلية الأولى من تلك الوجوه التى كانت تتقرب بها للأوثان والأصنام. هناك تجتمع تلك الكلاب على تلك الجيفة.

فيبادر أولئك اللصوص القائمون بتلك الأضرحة لأخذ تلك الجيفة فيوزعونها حسب شهواتهم الشطانية، ويرجع المتقرب بذلك الهدى وهو فى سخط الله وغضبه ولعنته حيث انغمس فى دائرة الشرك انغماسًا، ومنها دفعها إلى من يدعى أنه خادم الضريح ونقيبه على صورة، وهى أن يدفع له ذلك النذر، فيعطيه الآخر غرفة من التراب أو غباراً مما يتعلق بالقبر أو خرقة من تلك الأغطية التى على القبر أو شمعة أو قطنًا أو حجرًا يدعى أنه كان يتيم عليه حال حياته فى مرضه أو نعلا كان يلبسه، وهكذا من أنواع الملموس.

ولما اشتهرت الأضرحة بجلب الدنيا إليها ممن لا يعرف من الدين إلا اسمه. قام إليها حثالة الوقت مما ازداد بهم السخط والمقت، واجتهدوا فى التوصل لتلك الفتوحات الشيطانية التى هى أحد أنواع أكل أموال الناس بالباطل، واستولوا عليها بواسطة متفعل من المتفعلين الجاهلين، وازدادوا بتلك الفتوحات توسعة فى المنكوحات والبناءات والمطعومات والمشروبات والملبوسات، ومن هؤلاء قوم يدعون فى العلم والدراية، ومنهم قوم يدعون المشيخة بل القطبانية:

وإذا حققت النظر لا تجد فيهم من يهتدى برأيه، ولا من يقتدى بعلمه وما هم إلا كشبان فسقة أو كسفهاء الوقت من الكهول.

ولقد تبين من أعمالهم أنهم مستهزئون بآداب أديانهم ومستخفون بأوامر ربهم لأنهم لم يتبعوا من أوامر الله شيئًا فى هاتيك المهمة التى يختص بها جناب الحق سبحانه، فلذلك استهزأ الله بهم وتركهم فى طغيانهم يعمهون.

ولا يخفى أن هذه النذور والأموال التى تصرف فى القبور من ضياع المال فى الباطل مع وجود أرباب الحاجات والضروريات فى القربى والمساكين،

وها نحن نرى بعض الأضرحة عندنا بمراكش، بل وبغيرها من عدة مدن المغرب والمشرق تدخل عليها كل يوم أموال باهظة دون النذور من البقر والغنم والمعز والدجاج والحمام والبيض والسمن والزيت والشمع والصوف وغير هذا.

وربما تحصل في كل شهر من تلك الأموال ما يزيد على الستة آلاف ريال فضلا عما يختلسه حفظة الضريح ونقباؤه كل يوم وليلة، وما هم إلا أحد رؤساء اللصوص الوقتية، ويصرف المال المذكور في غير وجهه على حسب الشهوات وأنواع الباطل، والأمر لله ما شاء فعل.

ومنها شد الرحال بالزيارة للنذور على صورة منكرة، ولقد شاع هذا الأمر وذاع في قطرنا المغربي خصوصًا في أوقات المواسم التي تعمل كل سنة لأصحاب القبور، فترى هؤلاء الناس ما هم إلا قوم لا يعرفون إلى الدين سبيلا ذلك أنهم إذا كان عندهم نذر للشيخ فلان: قاموا فاتخذوا الدواب أو الأوتومبيلات وركبوا فيها مع نسائهم متبرجات بزينتهن تبرجًا يسرق أحلام الشبان ويلفت أنظار من لا دين لهم، ومعهم الأعلام والكوبات يضربن ويغنين ويولولن بالزغاريد بين يدي أزواجهن، وهن مكشوفات الوجوه والأيادي المخضبة بالخضاب الزينة بالأساور مع ما في رقابهن وآذانهن من الحلي الباهر، كل ذلك ويمرون بهن على البلدان ومعهم الطبول والمزامير والكاسات تضرب، فإذا أحس شبان هذه القرية أو هذا البلد، ولا مفهوم لهذا البلد خرجوا ليتمتعوا بمشاهدة تلك الصور الجميلة، والوجوه الجديدة فإذا شاهدوا هذا المشهد افتتنوا وسعوا كل السعي في الزنى، وربما ساعدهم الزمان على التوصل لذلك.

ثم إن أهل النذور الزوار للشيخ لا يزالون هكذا حتى يدخلوا مشهد الولى، فإذا أدخلوه كانت لهم ضلالات: منه أن نساءهم يعتزلن عنهم بمكان مخصوص بهم فيجدن بذلك فسحة فى الحرية، فيكون أهم شىء عندهم من تلك الزيارة هو الزنى، ويعتقدون أن تيسير طرقه من عطفة ذلك المزور، فينالن من ذلك كمال مقصودهن سما وقد استصحبن أعظم تلك البواعث، والذئاب فى كل بلاد موجوده.

وخادم الضريح لا شىء له إلا أخذ النذور وإن زنى بضريح الولى، وربما كان هو أول من يقدم على تلك العقبات الشيطانية التى اقتضتها اليوم همجية البلاد والعباد، بل ربما توصل أحدهم لزوجة الآخر.

فانظر بعينك هذه الصورة التى اشتملت على هذه الفظائع كم فيها من جرائم فاتكة بالإسلام، وانظر هل ترى منها فى الأمم الأجنبية؟.

أما شد الرحال عاريًا عن هذه الجرائم نغير المساجد الثلاثة ففيه الخلاف بين العلماء لاختلاف أفهامهم فى حمل حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى" رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة، والجمهور على جواز شدها لزيارة الصالحين أو لطلب علم أو غيره. وقد كانت تسد سلفًا وخلفًا.

ومنها نذر حلق شعر رأس الطفل فى مقام الشيخ، هذه من بدعهم أيضًا وربما تركوا قرونًا من الشعر فى رأسه، فيقولون هذا مسند للشيخ فلان، وهذا للشيخ فلان.

ومنهم من يرى أنه إذا لم يسنده على الشيخ فلان، ويعط عليه الضرائب فى كل موسم من تلك المواسم السنوية لا يعيش له الولد، وهكذا من الأقوال

الزائغة والاعتقادات الفاسدة، ومنا نذرهم الشمع والزيت والكسوة والدراهم للقبور. وقد سبق لنا الكلام على هذا، وأنه من ضياع الأموال فى الباطل.

ونرى كثيراً من التجار ينذرون الأموال الباهظة لأبى العباس السبتى لأجل نمو سلعتهم وروجانها وكثرة الربح فيها، وما ذاك إلا من فساد عقيدتهم، وخبث طويتهم، ولا عبرة بشطح الضالين المضلين، فلقد زاغوا وزاغت قلوبهم.

ومنها نذر ختان الولد بقبر الولى هذه كسابقها مرادهم بها أن يعيش الولد، فيقولون نذرنا ختانه فيك يا ولى الله ليعيش.

ومنها نذرهم لشراء دار أو بيعها أو تزوج باسرأة أو فراقها، وهكذا.

فانظر فساد نذرهم بطبع الحال مع ما فيه من المفاسد والمحرمات، والأمر لله، ما ذكرنا بدعة إلا جئنا بأقبح منها، فانظر رحمك الله إلى نذور أهل هذا الزمن مع اشتمالها على جرائم عظيمة كيف ينفذونها مع اختلاف العلماء فى النذر المباح كما هو مبين فى محله تعرف أن الفساد قد ملأ البر والبحر.

ومن هذا القبيل نذر المرأة استحضار أصحاب اللهو والمناكر من النساء كالعياطات المومسات والشيخة المجرمة إن رزقت ولداً من زنى، وهذه أكبر المفاسد. وقد ملأت أرضنا، وكذا غيرها من مدن المغرب.

وبالجملة فالإسلام اليوم قد حاز به أهله وضعضه المنسوبون إليه خصوصاً منهم المتصوفة الذين أكثروا على الله كذباً وزوراً، وفارقوا شرع ربهم وخانوا عهد نبيهم، وابتدعوا فى دينهم، والأمر لله، إنه لا يخفى عليه خافية. فليتنبه الناس من غفلاتهم وليفيقوا، فكم من محار للإسلام، وهو لا يشعر.

عكوف شبان الوقت على قراءة الجرائد والمجلات القبيحة وضررها بهم

ثم قال عبد الباسط: ومن مساوى غالب أهل هذا العصر خصوصًا الشبان منهم عكوفهم على قراءة الجرائد الهزلية التى هى أشبه شىء بالخرافات الإسرائيلية.

وغالبها قد جر على الدين وعلى المسلمين ويلات ونكبات وأمراضًا يبعد شفاؤهم منها بعد قرن كامل.

ولقد أصبح علماء العصر فى نظر أصحابها كأنهم قوم لا يعقلون - وإذا مروا بهم يتغامزون - لاعتقادهم أنهم فاقوهم بتلك الخرافات التى تنقل عن الأحبار والرهبان الأقدمين الذين كانوا يكذبون فى دينهم ويدلسون ويلعبون الألاعيب التى يسمح لهم بها مبدؤهم الدنيوى ورياستهم الكاذبة فكانت لهم أعظم قاطع عن قراءة الكتب الدينية وحرموا بركتها والعمل بها. وصاروا كلما راجوا فى مبدأ فظيع انتقلوا إلى أفظع منه. سنة أهل الزيغ والإلحاد. واغتروا بزخرف من القول، وانخدعوا بنوع من السفسطة وتاهوا فى بيداء تضل فيها القطاة - ومن يضلل الله فما له من هاد - فتنة عمياء صماء حلت بهم ولم يتفطنوا لها وظنوا أنهم على شىء، وليسوا بشىء، وأنهم لم يحصلوا من العلم ولا قلامة ظفر.

عوائد حملة القرآن وطلبة العلم

فقال له عبد الهادى حسبك ما ذكرت، فأخبرنا عن عوائد حملة القرآن وطلبة العلم عندكم، فقال عبد الباسط: أما مناكر حملة القرآن اليوم فلا تكاد

تحصر من وجوه الفساد والمضادة لما شرع الله ورسوله، ولنذكر لك شيئًا منها تنبيهًا لهؤلاء الغافلين عن الله واليوم الآخر. فمن ذلك إخراجهم الصلاة عن وقتها لقراءة ختمة أو وليمة فتراهم يشتغلون بالقراءة لأجل الدرهم حيث أصبح القرآن تجارة إذ قل من يحفظه لوجه الله اليوم، فتراهم يتنافسون فى قراءة عدد من الآيات إما بقراءة السبع أو بغيرها لأجل أن يأخذوا أجرة على ذلك.

وقد روى الديلمى عن على كرم الله وجهه: من اقتراب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة.

وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال "من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظيم ليس عليه لحم".

ومن بدعهم زيادة على ما قدمنا إخراجهم الصلاة عن وقتها من أجل القراءة فتراهم تمضى عليهم الأوقات لا يصلون فيها الفرائض ثم يجمعونها جمع تأخير من أجل القراءة، وربما قرأوا فى ذلك الوقت قوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا) أو (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) أو (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أو (فخلف من بعدهم خلق أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ومع ذلك - فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فىَ الصدور - ويرحم الله الإمام الهبطى المغربى إذ يقول:

أما الذين يقرأون القرآن فإنهم على سبيل الشيطان ترك الصلاة عندهم مشهوران تكن يفوتها الحضور، وروى أو نعيم والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: "يكون فى آخر الزمان عباد جهال، وقراء فسقة". وروى أبو نعيم أيضًا

عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال "سيكون فى آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله منهم".

ومن بدعهم إخراج القراءة مخرج الغناء بحيث لا تفرق بين المغنى على العود والقارئ، فتراه يحرك حاجبيه وأهداب عينيه، ويخرج الصوت من الخيشوم والأنف، ويتفعل فى أحرف القرآن نقلا يفوق تفعلات المخنثين فيهز أعطافه، ويميل على خاصرته كما تميل الأنثى.

وغاية الأمر أنه يود إدخال السرور على من حضره من طغام الجاهلين وأراذل الفاسقين.

والمطلوب من كل قارئ أن يقرأ القرآن كما قرأه رسول الله ﷺ وأصحابه بلحون العرب التى يعرفها علماء القرآن، لا كما يقرأ هذا المشبه أهل الكتاب، إذ أهل الكتاب فى قراءتهم الإنجيل والتوراة لا يعولون إلا على أصواتهم.

وقد روى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم" والقرآن له أحكام مشروعة نص عليها علماء القراءة كما روى السلف عن رسول الله ﷺ يسمونها التجويد من خالفها فهو فاسق. قال ابن الجزرى:

والأخذ بالتجويد حتم لا زم ... من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

والأدهى من ذلك أنهم يفخمون حروف الترقيق فيملأ بالباء فمه ملأ متفاحشًا ويفتحه بالواو على صورة معجرفة ويصعدون وينزلون فى المد والقصر، كنغمات الأغانى، وهؤلاء الجاهلون أمرهم كله رياء وسمعة.

ومن فظيع بدعهم كما رأيناه وسمعناه: قراءتهم القرآن بخضرة من يشرب الدخان أو يستنشق تابغًا، وهم يعلمون أن ذلك حرام. وأصحابه ممقوتون عند الله وعند المؤمنين، وربما قرأ أحد القارئين وشرب الآخر أو استنشق غباره، وربما قالوا حرمتهما لم يذكرها الله فى القرآن.

وغاية العجب صدور هذا من مدعى العلم مع أن كثيراً من الأمور التى يحكم عليها الشرع اليوم بالحل أو بالحرمة لم تكن فى عصر رسول الله ﷺ وإنما الشأن عرضها على قواعد الحل والحرمة، فإن تناولتها قواعد الحل حلت أو قواعد الحرمة حرمت.

ومن بدعهم دخول النساء الأجنبيات عليهم فى البيوت التى يقومون فيها ويتحادثون مع النساء الجميلات، وربما قرأ شوطًا وحادثها شوطًا.

فانظر بعينك هذا المخالف ما فعل من الجرائم فى دخول المرأة الأجنبية عليه يخلو بها. وماذا يكون حال إبليس بينهما والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق.

وقد روى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما".

اتخاذ القراء القرآن حرفة

ومن بدعهم قراءة القرآن يسألون بها عرض الدنيا، فتراهم فى المساجد أو فى الطرقات كثيرا، وعلى أبواب البيوت يجلسون ويقرأون شيئًا، فبدل أنه يسأل الناس بقوله أعطونى يسأل بالقرآن، وهذه بدعة شوهاء أضاعت منزلة القارئ، وكانت إهانة لكتاب الله يخشى على فاعلها الخطر.

وفى الحديث الشريف كما فى الترمذى عن عمران بن حصين (رضى الله عنه) أنه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال "سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس".

وبالجملة فلحملة القرآن بدع كثيرة تسوء الإسلام والمسلمين خصوصًا حالهم على المقابر.

الأفعال الذميمة للقراء المعلمين للقرآن

وأما مساوئ المعلمين منهم لكتاب الله، فحدث عن البحر ولا حرج. ومن أفظعها كون بعضهم من بقية قوم لوط، فلا يراعون فى هذا الفساد صغيرًا ولا كبيرًا.

ومنهم من يمكث بتلك الجنابة، ,هو مع ذلك يعلم الصبى المفعول به كتاب الله، ولا تخفى فظاعة هذا الذنب، وربما جر إلى الكفر، وعياذًا بالله. وبسبب هذا الفعل القبيح المجرم من المعلم لكتاب الله سرى ذاك الفساد فى الصبيان، فتجدهم متى خرج لبعض أغراضه صار بعضهم ينكح الآخر، اقتداء بفعل المعلم المنحوس، واعتقادًا منهم بسببه أن هذا الفعل لا شيء فيه ولا لوم على فاعله.

وهذا أحد الأسباب التى منعت كثيراً من الناس من دفع أولادها لمعلم كتاب الله، وذلك لعدم الثقة به، ولما يسمع عنه من تلك الفضائح الشنيعة وسبب هذا فقد غالبهم من العقل، إذ لو رزقوا العقل لما ارتكبوا هذه المناكر ولقد أحسن من قال:

وكيف يرجى العقل والحلم عند من يروح إلى أنثى ويغدو إلى طفل

قال الجاحظ: عقل مائة معلم عقل امرأة، وعقل مائة امرأة عقل حائك.

ومن حمقهم فى التعليم أيضًا أنك ترى الطفل اليوم فى سورة (سبح اسم ربك الأعلى) مثلا، وبعد مدة قريبة يجعله فى سورة (الرحمن) وعملهم معه فى هذه الحيلة والخيانة هو: أما أن يكتبوا للصبى ما لا يطيق حفظه، والأهم عندهم هو أخذ الدرهم لو بالباطل، وأما أن يكتبوا له سورة ويتركوا الأخرى يسيرون فى ذلك سير الفرس، إلى غير ذلك من دسائسهم التى أورثتهم إهانة وزولا، وليس فى البلاد حاكم يرجع إليه، والأمر لله وحده، وكل ذلك من غربة الإسلام.

فقال له الشيخ عبد الهادى: أعندك زيادة على ما ذكرت لنا؟

قال عبد الباسط: نعم، قال قل، قال: بلغنا عن مؤدب لقن صبيًا، (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا، وأكيد كيدا فمهل الكافرين أملهم رويدا)، فقيل له ما هذا؟ فقال إن أباه يدخل المشاهرة شهر فى شهر، وأنا أدخله من سورة إلى سورة لئلا يحصل على شىء كما لا أحصل أنا على شىء، وقرأ صبى على معلم (وإن عليك اللعنة) وأخذ يكرر ويقف، فقال عليك وعلى والديك، فصار الصبى

يكرره. وقرأ آخر على معلم (اخرج منها فإنك رجيم)، فقال ذاك أبوك القرآن. وقرأ آخر على معلم (ما لنا فى بناتك من حق) وأخذ يكررها كالمستفهم، فقال لا ولا كرامة لك.

وفد سعيد بن عبد الرحمن على الخليفة هشام العباسى، وهو صبى ردىء الوجه، فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدبه، فراوده عبد الصمد عن نفسه، فخرج من عند المؤدب مغضبًا، ودخل على هشام وهو يقول:

أنـــه والله لولا أنت لم ينج منى سالمًا عبد الصمد

فقال وما ذاك؟ قال:

أنه قد رام منى خطة لم يرمها قبله منى أحد

فقال وما ذاك؟ قال:

رام جهل بى وجهلا بأبى يولج فى خيس الأسد

فأمر الخليفة بطرد عبد الصمد عن داره.

فقال عبد الهادى: حسبك أخبرنا عن مناكر طلبة العلم عندكم.

فقال عبد الباسط: أما مناكر طلبة العلم فحدث عنها ما تشاء، فقد ملأت البدو والحضر وما شاءوا فعلوا غير مقيدين بكتاب ولا سنة، وسعوا آمالهم ونسوا مآلهم، وعكفوا على الفانيات، وتركوا الباقيات الصالحات. وشمروا للفساد كل التشمير، وأرادوا العبودية عارا على الكبير منهم والصغير، والأمر لله العلى الكبير.

فمنهم من أظهر للناس شأنه، وهو عنها عار، بل نفاق نافقه. ومنهم

من جمل هيئته، وحلق لحيته، ولبس ذهبًا وحريرًا - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا.

ومنهم من أصبح ينكر الدين ويدعى أنه تعليمات وضعية لا تناسب هذا الزمن، فاجتهد فى هذا العمل الذى هو من أعمال الصبيان الألعابية، وظن أن يكون فى ذلك قدوة.

نعم قدوة يسوغ للسفهاء الاقتداء به، لكن من جهة تحقيق النظر أنه بسبب هذا العمل أوسع سفاهة من غيره، وأشد شرًا وأكبر حماقة.

وهذا القول والعمل والتجاهر به لا يخرج إلا من ضلال الرأى وطمس البصيرة، ومنهم من تشبه بسفهاء الأوروباويين الذين يتبعون أهواءهم فى أعمالهم الشيطانية التى لا تسوغ للعامة من أهل الإسلام، فضلا عن علمائها التلبس بها. سيما وغالب أعمال الأوروباويين لا قاعدة لها فى الدين، ولا فى أعمال العقلاء ولا فى شئون الأدباء.

ومنهم من زين له مطالعة كتب أهل الضلال الذين اتخذوا من لسانتهم وجدالهم معارج للتعالى بغير حق، فتراه معتكفًا آناء الليل وأطراف النهار على روايات غرامية، أو جرائد هزلية، أو كتب تضليلية، أو أخبار مكذوبة سياسية تهدم صرح الأخلاق الفاضلة.

وها أنت ترى منها نشرات فى الأسبوع تملأ السهل والجبل كشقيقتها التى تذكر بقصة القط والفار.

ومنهم من إذا ناداهم منادى طيش وفتون، أو لهو ومجون، أجابوا

دعوته بلا تؤدة ولا تروٍ: كالأنعام التى إن أبصرت مرعاها التفت حول ذلك المرعى. ثم إذا دعاهم إلى حقيقة من الحقائق واعظ، أو ناصح من الفريق الذى أراد الله به خيرًا ليهديهم إلى سواء السبيل اتخذوه عدوًا، وكانوا فى الترامى على ما هم عليه من الملاهى المهلكة كالهمج الذى هو ذباب صغير يقع على وجوه الحمير. وربما عاملوا ناصحهم معاملة الرعاع الذين هم أوغاد الناس بلا مبالاة ولا خجل لم يهتدوا إلى الآداب سبيلا.

ومنهم من أداه علمه إلى متابعة المضلين الداعين إلى المدنية الأوروبية والعلوم العصرية، فما سعيه إلا فى المسارعة على تلبية المنادى، وهجران أهل ذاك الوادى.

ومنهم من تظاهر بأوصاف المخادعين، وخصال المنافقين، وهذه الخصال فى نظر غالب علماء زماننا من أشرف ما يتخلق به الإنسان، لأنها خصال أوروبية، وهذان الوصفان ملازمان لكل من خالف أوامر الله ونواهيه.

ومنهم من يدندن على نغمة الصحف المنتشرة، فيحسن برأيه كل ما يخالف القرآن الحكيم، والسنة المحمدية.

ومنهم من خالط الأغنياء والسلاطين، وتقرب بعلمه إلى من لا يعرف سبيل المؤمنين، وأفرط فى الأمر، حتى هجر الشريعة المحمدية فى نفسه واقتدى به الكثير من الجاهلين من أبناء جنسه.

وهذا مصداق قوله ﷺ "من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون". رواه الديلمى عن على (رضى الله عنه).

ومنهم من أعرض عن العمل حتى نحانحو الطائفة الوهابية واعتزل أهل السنة وادعى الاجتهاد وفارق التقليد.

ومنهم من لا يسعه بين الناس إلا التبجح بما ليس من شأنه، وكل ذلك لبعد روحه عن هدى المهتدين، وليته وقف هذه الوقفة، بل تراه ربما طغى عليه الضار، فانقلبت عليه الحقائق، فأنكر هدى من اهتدى وعوق الناس عن ربهم لجهل قلبه وإن فقه لسانه.

وفى الحديث "إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان" رواه الإمام أحمد عن عمر فى مسنده.

ومنهم من لا زال طغيان العلم يجره إلى جرائم الدعوى حتى أصبح يقول فلان أخطأ فى تفسيره، وفلان كذب فى مؤلفه، وفلان أغش من حاطب ليل، والشيخ فلان أى شيء يكون ممن تقدم عصره، من علماء الأمة المتفق على جلالتهم.

ومنهم من يأخذ يطعن على الأئمة الأربعة الذين وقع الإجماع على عدالتهم، ولكن ماذا يقول هذا المفترى الحسود إذا قال البعوض للبعير أنا أقوى منك، أو قال الكلب للأسد أنا أجرأ منك، ولكن لما مات العلماء كما فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال "إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء" الحديث جعل هؤلاء الذين طرقوا العلم من أبواب النفوس يتقدمون على الذين طرقوه بدخول حضرة القدوس.

فأعجب إذا تقدم الطالح على الصالح، والبصير على الأعمى، والجاهل على العالم، والوضيع على الشريف، والخبيث على الطيب، والفاسق على المتقى والزنديق على الصديق، إن ذلك للشيء عجيب.

ولما كان مدعو هذا العصر وصل بهم الافتراء فى الدعوى حتى كان من جرائمهم دعوى الاجتهاد المطلق، وقالوا بعدم جواز تقليد الأئمة الأربعة حتى قالوا: نحن رجال وهم رجال ولا نأخذ بآراء الرجال، وجعلوا يتعبدون بما يرون فى الكتب من الأحاديث ولو منسوخة لعدم إحاطتهم بالسنة، وبما يرون من كتاب الله تعالى برأيهم، ويدعون مع ذلك أن عملهم هذا لإحياء السنة وأمانة البدعة، بل ما هى إلا سنة كل وهابى مفتون، لأن هذه الدعوى هى دعوى أئمة تلك الطائفة من مبدأ ظهورهم فى القرون الماضية إلى ما شاء الله، وما هى والله إلا كدعوى العاهرة التى تريد أن تجعل نفسها فى مصاف المخدرات الحسان، فتصف نفسها بما ليس فيها من أوصاف الغوانى.

وهذه الدعوى التى هى دعوى إحياء السنة وأمانة البدعة هى الفتنة الضارة التى أخذت بنواصى كثير من بسطاء الأمة الإسلامية إلى مصارع الزيغ ومهالك الغرور، وقد مزقوا بتلك الفتنة دين العوام تمزيقًا، وأعنى بالعوام كل مسلم لم يتفقه فى دينه، إذا علمت هذا فاعلم أن الاجتهاد المطلق قد انقطع من نحو أكثر من ألف سنة.

قال العلامة ابن حجر عن ابن الصلاح أنه قال: إن الاجتهاد قد انقطع من نحو الثلاثمائة، وكان ابن الصلاح فى القرن السادس، قيل ولم يوجد بمصر بعد عصر الشافعى مجتهد مستقل، قال الشهاب ابن حجر، وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل فى أن إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالى، وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولا؟ فما ظنك بغيرهما، بل قال الأئمة فى الرويانى صاحب البحر أنه لم يكن من أصحاب الوجوه هذا مع قوله: لو ضاعت نصوص الشافعى لأمليتها من صدرى فإذا لم يأهل هؤلاء الأكابر

لمرتبة الاجتهاد المذهبى، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعى ما هو أعلى من ذلك؟ وهو الاجتهاد المطلق، (سبحانك هذا بهتان عظيم).

والأئمة مجمعة على أن الاجتهاد قبل هذا العصر بعصور كثيرة كما سمعت قد انقطع. وقد كان فى هذه العصور فحول لو ادعوا ربما سلم لهم، ومع ذلك لما ادعى الجلال السيوطى ما ادعاه مع جلالته فى العلم وتفوقه على أقرانه لم يسلم له معاصروه ورموه عن وقس واحدة.

فأين حال هؤلاء الذين لا يفرقون بين الخل والعسل مذاقًا، بل هم فى مرتبة العوام الذين يحيرهم رفع فاعل ونصب مفعول.

لعمر الله إن مرتكب هذه الجريمة مفارق للجماعة، مبتدع فى دينه بل أعمى ضائع العكازة، يصدمه الحجر والمدر، ويهوى فى مهاوى الحفر. وفى الحديث "من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام" رواه مسلم أحمد فى مسنده. قالوا والمراد بذلك الابتداع.

وهؤلاء المهوسون تركوا ما عليه الجماعة، فإن الأمة من نحو عشرة قرون آخذة بالمذاهب، وبعد انقراض المجتهدين، وعند تأخر الزمن أجمعوا على عدم وجود مجتهد، لفقد أهلية الاجتهاد وشروطه. وهؤلاء فتحوا باب الاجتهاد المطلق لرعاة الماشية، وهم منها أضل سبيلا.

فيا أيها الباقى فى إدراكه وعقله اجعل بينك وبين هؤلاء الأوباش الأغمار الضالين المضلين بعد ما بين المشرقين والمغربين، وإلا كنت أسير ضلالتهم.

ومنهم من هجر العمل بالبدعة الحسنة وقال: كيف تكون بدعة وتكون حسنة، وتحمد؟ وأنكر أمرها، وعمم حديث كل بدعة ضلالة وأعمل يده ولسانه فى مقارنة من يعمل بذلك، ولم يدر أن البدعة على أقسام خمسة.

الأول من الخمسة: بدعة واجبة إجماعًا، وهى كل ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع: كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع فإن تبليغها لمن يعدها واجب إجماعًا، وإهماله حرام إجماعًا.

الثانى: بدعة محرمة إجماعًا، وهى كل ما تناولته أدلة التحريم وقواعده كالمكوس، وتقدمى الجهلاء على العلماء، وتولية المناصب الشرعية بالتوارث لمن لم يصلح لها.

الثالث: بدعة مندوبة كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة، فإن التعظيم فى الصدر الأول كان بالدين، ولما اختل النظام وصار الناس لا يعظمون إلا بالصور كان مندوبًا حفظها لظلم الخلف.

الرابع: بدعة مكروهة، وهى ما تناولتها قواعد الكراهة كتخصيص الأيام الفاضلة بنوع من العبادات، ومنه الزيادة على القرب المندوبة كالصاع فى صدقة الفطر، وكالتسبيح ثلاثًا وثلاثين، والتحميد والتكبير والتهليل فيفعل أكثر مما حده الشارع، فهو مكروه حيث أتى به لا لشك لما فيه من الاستظهار على الشارع، فإن العلم إذا حد شيئًا تعد الزيادة عليه قلة أدب، ومن البدع المكروهة أذان الجمعة بصوت واحد.

الخامس: بدعة مباحة، وهو كل ما تناولته قواعد الإباحة كاتخاذ المناخل لإصلاح الأقوات، واللباس الحسن، والمسكن الحسن، وكالتوسعة فى لذيذ المأكول والمشروب على ما قاله العراقى.

ومن البدع المباحة اتخاذ الملاعق، والضابط لما يجوز وما لا يجوز مما لم يكن فى زمنه ﷺ عرضه على قواعد الشرع، فأى القواعد اقتضته ألحق بها.

فعلم من هذا التقسيم أن قوله ﷺ "وكل بدعة ضلالة" محمول على البدعة المحرمة. وقد نقل عن الإمام الشافعى تقسيمها خمسًا كهذا.

ولقد اتفقت كلمة العلماء من أهل السنة على مثل ذلك قديمًا وحديثًا. ولكن هؤلاء الأغمار طرقوا بابًا لم يطرقه الشافعى ولا غيره من أهل السنة وعمموا ذلك.

فيا ليت شعرى ما يقولون فى قول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) نعمت البدعة لما زاد القيام عشرين ركعة، وجمعهم على إمام يسمعهم كلام ربهم ولم يكن ذلك فى عصر رسول الله ﷺ.

وما يصنعون فيما رواه مسلم فى صحيحه عن جرير أن رسول الله ﷺ قال: "من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء" الحديث. وهل تأليف الكتب، وبناء القناطر والقلاع كان فى عصر الرسول، أم حدث فيترك؟

وبالجملة: فإن قائل ذلك خارج عن إجماع العلماء من أهل السنة سائر وحده "ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"

فيا أيها المدعون سيروا خلف سلفكم قدمًا بقدم، واتركوا الدعوى، فإنها بكم أهوى، فهم رجال ولستم برجال.

كان منهم من يكتفى بزبيبتين ولوزة فى اليوم والليلة، ومن منكم إلا من يكتفى بثلاث أكلات فى بياض النهار، ومن أكل فى اليوم ثلاث مرات فليبن له معلفة.

كان منهم من يقطع الليل كله فى العلم الشريف وتحريره، وما منكم إلا من يقطع الليل فى اللهو والسمر، أو يقطعه بالنوم، فإذا أصبح ادعى الاجتهاد.

كان منهم من يجتمع برسول الله ﷺ كل ليلة. وما منكم من يجتمع إلا بإخوان الضلال، بل كان من مقلديهم من إذا انتهى من مراجعة دروس الغد، وأطبق الورق، إذن مؤذن الفجر على طقطقة المحفظة. وما منكم إلا من يصلى الصبح بعد الشمس.

وإنى لأرى خطاب أمثال هؤلاء عبثًا، والحازم لا يعبث - وما يذكر إلا أولوا الألباب - إذ تكليم الأصم حيث لا يسمع لا ينفع، والإشارة للأعمى لا تجدى نفعًا.

ومنهم من ظن بنفسه أنه فوق الأئمة ذكاء وعلمًا، وأنه أقدر على استنباط الأحكام من طريق الكتاب والسنة، وأن التقليد بأمثاله لا يجوز ورأى أن المذاهب ضلالات، واستدل بقوله تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم فى شىء) واستدل على زكاة نفسه بقوله ﷺ "مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره". أى فعلة خير من الإمام مالك (رضى الله عنه) حجة الله فى أرضه، والشافعى عالم قريش، وأبى حنيفة عالم فارس، وأحمد بن حنبل إمام العراق.

أما الآية التى يتمسك المعشر الزيغ عن السنة على أن المذاهب الأخذ بها ضلالة، فقد نزلت فى حق أمثالهم من أهل الضلالة والبدع من هذه الأمة، إذ هم فرق مختلفة فى العقائد لا مذاهب فى الشرائع أجمعت الأمة على الأخذ بها، إذ العقيدة واحدة لا تغيير ولا تبديل عند الأئمة الأربعة، وإنما الاختلاف

فى بعض الشرائع لاختلاف اجتهاداتهم فيما أخذوا. وقد كان ذلك فى أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعب على أحد منهم.

وحيث أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على الأخذ بها، فمن شذ فهو من المارقين المبتدعين، إذ إجماع المسلمين حجة. قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

وهؤلاء قد اتبعوا غير سبيل المؤمنين. وقال ﷺ "إن أمتى لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم" رواه ابن ماجه عن أنس، وهو حديث صحيح.

فانظر بعينك إرشاد النبى ﷺ إلى العمل فى الاختلاف حيث قال "فعليكم بالسواد الأعظم" أى فإذا رأينا اختلافًا فى الأمة من حيث الدين وافقنا السواد الأعظم، وهى الجماعة الكثيرة بناء على إرشاد النبى ﷺ فإن الله جعل الحق معهم، ونترك القليلين، فإن الله جعل الهلاك رائدهم.

قال ﷺ "فإن يد الله مع الجماعة" وهؤلاء أقل الناس، إذ إمامهم ابن عبد الوهاب، كان وحده فى عصر، وكان كل الناس ضده، وقد حط عليه علماء عصره وأنكروا عليه حيث أتى بعبارات فى جانب الحضرة المحمدية مشعرة بالقبض.

وأعجب ما بلغنا عن هذه الطائفة الوهابية أنهم فى باب إنكارهم المذاهب: يقولون ملة واحدة، فما لنا نجعل مذهب كذا ومذهب كذا، حتى صارت الملة الواحدة مللا، فلا داعى إلى التفرق ويتمسكون بالآية المتقدمة.

وقد روى الشعـرانى فى ميزانه الكبـرى كما روى الطبرانى مـرفوعا أن رسول الله ﷺ قال "إن شريعتى جاءت على ثلثمائة وستين طريقة، ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا" ا هـ.

وهذه الطرق فى الأعـمال الدينية مـأخوذة من الكتـاب والسنة لا طرق تفريقية فى الدين التوحيدى، أما سمعت الله يقول: (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

فالمراد بالصراط المستقيم، والدين الذى قـال فيه (ملة إبراهيم حنيفا) هو التوحيد لا غير.

ويؤيد ذلك كل التأييد قوله تعالى بعد (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـالمين لا شـريك له) وهذا هو ملة إبراهـيم التى هى الدين القيم والصراط المستقيم.

ولم يرد عن رسـول الله ﷺ أنه جـاء بفـعل واحد فى الـطاعة وأمـر بالتزامه، ورواه عنه كل أصـحابه، حتى لو خالفـهم واحد خطئوه، وإنما هى روايات مروية عن أجلائهم، واجتهادات أخذ بها الأصحاب وأقرهم عليها.

فقد كان لعلى مذهب، ولعمر بن الخطاب مذهب، ولأبى بكر الصديق مذهب، وكل علـى قدر مشـربه من بحر رسول الـله ﷺ، ولذلك قال ﷺ "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" رواه البيعقى، فلم قال ذلك رسول الله ﷺ إذا كـانت الشريعـة واحدة؟ ولم تعـددت شرائع الرسل إذا كـان لا يجوز تعدد المجتهدين فى الفروع فى نظر الجهال الساقطين؟.

وقد أعطى الله الأئمة الأربعـة من الاقتدار على تناول الشريعـة القويمة

من الكتاب والسنة ما لم يعطه غيرهم من علماء عصرهم، ولا من بعدهم، إذ مذاهبهم أقوم المذاهب إلى الله تعالى، فأجمعت الأمة على الأخذ بها وترك غيرها من المذاهب، فمن تعداها أو تركها فقد فارق إجماع الأمة، وخرج عن الجماعة.

وقد أسلفنا لك أن الاجتهاد منذ قرون أقفل بابه، إذ فترت الهمم، وضعفت العقول، إذ الناس عجزوا عن حفظ حديث بسنده حتى يعرفوا صحته أو ضعفه إلا تقليداً لأقوال السابقين، فكيف يدعى العاجز الاقتدار؟ أم كيف يدعى الأعمى الاستبصار؟ وكيف تسنى لهؤلاء إنكار المذاهب؟

وقد نص الشعرانى فى هذه المسألة عن شيخه زكريا الأنصارى رحمه الله أنه قال: إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئه إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها، ومعرفتكم بجميع لغات العرب التى احتوت عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها، فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذى أنكرتموه فيها، فحينئذٍ لكم الإنكار والخيرة لكم، وأنى لكم ذلك؟ ثم أعقبه بحديث "أن شريعتى جاءت الخ" الحديث المتقدم.

فانظر بعينك ما قال هذا الإمام وقس عليه هؤلاء الأوغاد الذين لم يعرفوا ما فى شرح الكفراوى حتى يعرفوا جميع لغات العرب، الذين يحارون فى معرفة حال أو تمييز، ولا يعرفون بين البهم والبهيم.

وربما عرض عليهم الحديث المتواتر، فقالوا: وهل هذا حديث، ومع ذلك قالوا نحن مجتهدون، فاتلهم الله أنى يؤفكون.

وأما احتجاجهم بقوله ﷺ "مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره" ويتناولونه لأنفسهم على معنى أنهم الآخر الخير من الأول، وأنهم

أفضل من الإمام مالك [ومن أظلم من افترى على الله كذبًا] لكن قضية العقل مسلمة أن القدرة صالحة أن يوجد الله كما لك وأفضل منه، ولو قيل الساعة، لكن هل هم كما لك رضى الله عنه علمًا عملا وأدبًا، طبق أحوالهم على ما تعرف من أحواله، وعلومهم على علومه، فإن ساووه فهم مثله. وإن زادوا فهم أفضل، وأنى يكون ذلك؟ والوجود يفهمونه هؤلاء الطغام هو المعنى بالحديث فإنه مناقض للأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ "احفظونى فى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث.

وروى الحاكم عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "أما أنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم".

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "لا تسبوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه".

وروى الترمذى والحاكم أن رسول الله ﷺ قال "خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث، وهذا الحديث أيضًا فى الصحيحين.

وروى الطبرانى والحاكم عن جعدة بن هبيرة "خير الناس قرنى الذى أنا فيهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرون أراذل".

وروى مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذين يلونهم" الحديث.

وروى الترمذى عن أبى الدرداء "خير أمتى: أولها وآخرها، وفى وسطها الكدر"، والمراد بالأول سيد الخلق ﷺ، والآخر عيسى ابن مريم عليه السلام، والكدر أمثال هؤلاء الدجالون.

فقد جاء كما روى أبو نعيم فى الحلية مرسلا أن رسول الله ﷺ قال "خير هذه الأمة أولها وآخرها. أولها فيهم رسول الله ﷺ، وآخرها فيهم عيسى ابن مريم عليه السلام، وبين ذلك نهج أعوج ليسوا منى ولست منهم".

فانظر بعينك تفسير رسول الله ﷺ الأول والآخر، وهم يفسرون الآخر يكون أفضل من الأول بأنفسهم الشاذة عن نهج السنة إلى البدعة، وعلى ذلك فيجب ألا يطلق معنى الحديث كما أطلقوه وإلا كانوا أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، ولا يقول بذلك إلا مبتدع مارق، بل وأفضل من التابعين وتابعيهم المشهود لهم بالفضل، ولا قائل به أيضًا، بل يقال فى "مثل أمتى المطر لا يدرى أوله خير أم آخره" أى فى غير من نص الشارع على أفضليته.

ومنهم الأئمة المجتهدون، وبعد إخراج القرون الثلاثة نقول: إن رسول الله ﷺ قال "مثل أمتى مثل المطر" فتشبيه الأمة بالمطر واضح جلى فى الخير قد يكون أولا فقط، وقد يكون آخرا فقط، وقد يكون فى الأول والآخر معًا كما سبق فى حديث أبى نعيم بقوله ﷺ "أولهم فيهم رسول الله ﷺ، وآخرهم فيهم عيسى ابن مريم".

وحيث عين الرسول الآخر بعيسى ابن مريم، فأين زمن هؤلاء المدعون من زمن عيسى ابن مريم، بل هم من الوسط الأعوج الذى تبرأ منهم رسول الله ﷺ بقوله "ليسوا منى ولست منهم"

فبهذا تفهم أن الحديث معناه ليس بقاطع بوجود الخير فى الآخر فقط يؤيده التشبيه بالمطر، إذ قد يكون الخير فى الأول والآخر معًا، وقد يكون فى الكل، وليس ببعيد، وها قد عرفت معنى الأول والآخر، ومن نص على فصله من طريق الكتاب والسنة.

فلترفض كلام هؤلاء المشوشين الذى لا يفهمون معنى حديث كهذا: ومع ذلك يدعون الاجتهاد. اللهم إلا فى الدراهم والدنانير فمسلم لهم، وإلا فلا يتعدوا حدود أنفسهم الحقيرة القاصرة.

ولهم مسائل تشوه وجه العلم، كتحليل المبوتة وردهم الأحاديث إلى ما وافق أهواءهم، وتعطليهم مجالس الأذكار، وردهم أوراد الصالحين وأخلاق الصوفية المسلمة بالكتاب والسنة إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره.

ومنهم من تظاهر بما ينفر القلوب السليمة من كتب المقالات اليومية ونشرها فى الصحف على أن قارئها يكاد يحكم على كاتبها بأنه ما دخل فى حضرة أدب ولا علم، ولا جالس صالحًا، ولا عاشر طبيبًا.

ومنهم من تظاهر بمجموع قصص تتلى للفكاهة، أو أساطير تنقل فى المسامرات، أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة، ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية: من التورية والجناس ونحوهما من فنون البديع، أو منشآت من الرسائل التى تتضمن مبالغة فى المدح، أو غلوا فى القدح، فإن هذا لا يتصل بمعنى من معانى الأدب.

وإنما الأدب فى كل أمة هو الفن الذى يقصد به تهذيب عاداتها، وتلطيف إحساسها، وتنبيهها إلى خيرها لتجليه، وإلى ما يخشى منه من الشر فتجتنبه.

فالأدباء فى الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم، بل هم أجنحتها تطير بهم إلى ذروة فلاحها، فإنهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم أن يقربوا إلى العقول ما يبعد عن إدراكها، ويسهلوا على الأذهان ما يعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة، فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة، فيأخذون على الظالم ظلمه، ويعظونه بسوء عواقب الظلم، وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور، حتى يردوا كلا عن غيه بما يرضون من طبعه بدون أن يقولوا له: إنك ظالم، أو فاجر.

وإذا رأوا فى امتهم عادات يأباها سليم الذوق، أو وجدوا منها أخلاقًا وأعمالا لا تتفق مع شريعة الفضل، ولا مع قوانين الشرع، عمدوا إلى تغيير العادات وتطهير الأعراق، وأخذوا فى ذلك سبلا متنوعة فى إنشاءاتهم تارة بالقصص والحكايات التى تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة، وما آل إليه أمر المتدنسين بالأولى، وما ارتقى إليه حال المتحلين بالثانية، وتارة بقريض الشعر يخيلون ما يحرك الهمم، ويبعث الأفكار، وينبه خواطر الكمال، وإحساس الشرف الصحيح، لا ما يوقظ الشهوة، ويقوى الغرور ويخرج الأنفس عن أطوارها. كصنيعنا فى هذه الرحلة المراكشية، ولله الحمد والشكر.

والأخذ بالأدب من وجهه، والدخول إليه من بابه هو الذى بلغت به العرب أقصى غايات الرفعة، وهو الذى وصل بالأمم الأوروبية إلى ما وصلوا إليه مما لا يخفى على ذى بصيرة.

وأنا لنأسف على ما نراه من أدباء المسلمين وشعرائهم، فإنهم يقصرون منشئاتهم وأشعارهم على الذم، أو المدح، لا للإصلاح بل للانتقام ويحصرون قصصهم فى حكايات مضحكة، وقصص هزلية، ونحوهما مما لا يكاد يفيد وينفع بدون أن يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون فى أفكار الأمة.

ورجاؤنا أن يسلكوا مسلك أدباء الأمم المتقدمة أو المعاصرة لهم، حتى يكون للأمة الإسلامية تصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة علمهم وحسن بيانهم وطلاقة ألسنتهم، وأن يأخذوا فى منشآتهم وأشعارهم طريقًا كطريقتنا هذه، ولله الحمد.

وبمثلها تنهض الهمم الخامدة، وتحرك القلوب الجامدة. وعسى أن تكون هذه البداية سائرة إلى حيث يحب المخلصون للأدب وأهله، وللقطر وساكنيه بفضل الله ورحمته [رجع].

ومنهم من برع فى الكذب وفى الخداع حتى جعل التفنن فيهما ضربًا من ضروب السياسة، وبابًا من أبواب الفوز فى الحياة.

وهذا كلام لغو لا يفيد شيئًا إلا فى الأغراض الفاسدة، وترويج الأفعال والأقوال الباطلة الكاذبة.

ومع هذا يموهون على ما ينكر عليهم هذه الخيانة، ويعيب عليهم هذا الكذب، ويقولون إنا لسنا من معاوية، ولا من عمرو بن العاص فقديمًا كان لهما مع على بن أبى طالب وشيعته مثل ما لنا الآن. والله يعلم أنهم ى فعلهم ظالمون، وفى ادعائهم كاذبون.

فما كانت الخيانة فى أى حال، ولا فى أى عصر مقبولة، أو مسكوتًا ومرضيًا عنها إلا فى حالة الحرب، وفى حالة التخلص من ظلم الأعداء وأذاهم.

أما أن المسلم يخدع المسلم ويغشه جهرًا أو سرًا لينال من عرضه، أو من جاهه، فليس لذلك مسوغ من العقل ولا من الشرع.

وأقبح أنواع الخيانة أن يصاحب الرجل الرجل، فيتردد على بيته، ويتودد إلى أهله وزوجه، ثم يخونه فيها كحال غالب أهل الوقت، ويكون مفسدًا لماعونه ومورثًا ماله من لا يستحق أن يرثه.

الخيانة لفظ بشع، ومدلوله مخوف مروع، الخيانة هى الويل ينزل بالإنسانية الصافية، فيكدر ماءها، ويعكر صفاءها، الخيانة هى انتحار أدبى يقترفه من ودعوا حياة الكرامة والشرف، وهجروا فردوس الذمة والوفاء. كل الآثام يهون احتمالها، وكل الجرائم يمكن الإغضاء عنها، واحتقار ما عظم من خطرها وبلواها. اللهم إلا الخيانة، فهى الجريمة التى لا تغتفر، والإثم الذى لا يعذر فيه الآثمون، إنها مأتم الضمير، ومنفذه إلى عذاب السعير، دع المتكبرين والمغرورين جانبًا، ودع الذين يفرطون فى غضبهم ونهورهم، أو يسرفون فى أموالهم وفى أوقاتهم.

وحدثنى عن الخيانة حديث الألم، فإن الخيانة مؤلمة فى أحاديثها وأخبارها فى سيرها وفى آثارها.

حدثنى عن الخائن يعاشر الزوجة، فتمضى معه شبابها وتفاخر به على ترابها، وما هى إلا جولة يجولها فى ميدان الأهواء، فإذا به يخون عهدها ويخلف ظنها.

حدثنى عن الصديق يعاشرك، فتعطيه من نفسك مكانة الحب والإيثار وتنزله من قلبك منزلة الود والإكبار، وتبث إليه ما فى سريرتك من ودائع الأسرار، وتسخر كل ما فى حياتك من وقت، وما فى جهدك من حول، وما فى ثروتك من نائل وطائل، وتقدم رغائبه على حاجاتك، ومآربه على ضروراتك، وتجعل من شئونه أول واجباتك ومجهوداتك، يتصدع قلبك

لقرحة فى إصبعه، وتهمل عيناك مدرارًا لضيق صدره، ثم تعقد رجاءك فى السعادة وآمالك فى البقاء برضاه عنك.

وبينما أنت مشغوف ومشغول به عن مشاغلك، ومأخوذ به عن نفسك وعن غيرك، إذا به يقلب لك ظهر المجن، ويبدل النهار الساطع من الوفاء، ليلا حالكًا من الغدر والجفاء، ويتخلى عن قرابة روحك، ومودة قلبك. فيذيع أسرارك، وينشر بالأكاذيب أخبارك، ويغرى بك أعداءك وخصومك، ويبعد عنك كل من قرب منك، ويبغض فيك كل عين ناظرة، وكل أذن سامعة، ويصورك أمام الدنيا بصورة شيطان ممقوت.

فإذا لم يجد فى عاداتك وخلالك ما يأخذه عليك الناقد، ويحاسبك عليه المحاسب، ابتكر من نفسه تهمًا وآثامًا يلصقها بسمعك، رجاء أن ينقلب خيرك شرا، وعرفك نكرًا، وأن يمقتك الناظرون، ويتجافى عنك المخلصون. ويومئذٍ يروى من بليتك غليل حقده، ويطفئ بدموعك نيران حسده.

ذلك هو صديقك الذى صافيته، وحبيبك الذى أحببته وأوليته من فضلك وإحسانك، وسقيته كوز المروءة نم برك وحنانك، وأفضت على بؤسه ومسكنته رحيقًا صافيًا، بدلت به غمه فرحًا، وشقاءه سعدًا، وهوانه كرامة ومجدًا.

وماذا أنت صانع بعد ذلك؟ أتقابله بمثل أفعاله لتكون خائنًا مثله، أم تحتفظ بقديم عهده، وتغضى العين على القذى، وتخفى عن الأسماع والأنظار عيوبه ومثالبه وأنت على مضض الألم ومضض البلوى، وتكتفى بالشكوى لمن بعلم السر والنجوى.

ما أفظع الخيانة وما أشنع جرمها، إن للخائنين جزاء هو فوق جميع

العقـوبات البشرية كلهـا، إن لم يكن من ضمائرهم، فـمن مقت الله، ولعنة التاريخ

الخيانة هى التى أشعلت نيران الحقد فى كل بقعة، وفى كل مكان، وفى البيت الواحد بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه.

الخيـانة هى التى أوهنت تلك الثـقة الغالـية بين أبناء الأسـرة الواحدة، وسكان المنزل الواحد، حـتى فسد نظام التربـية، وانحل نظام الروابط بين كل اثنين تجمعـهما جامعة أو تتصـل بينهما صلة، فاستبـدل الناس من طمأنينتهم خوفًا، ومن سكينتهم هلعًا واضطرابًا.

وأصبح ميسورًا أن يرتاب المرء فى أقاربه الأدنين، وخلانه المصطفين وأن لا يثق برفيـقه فى الطريق، ولا بجاره فى الدار، ولا بعشـيره فى المنزل، ولا بنفسه التى بين جنبيه.

وانتهى بنا سير الحياة إلى بحر لجى من المطامع يتحكم فيه سلطان المادة، ويغرى بألوان المظاهر إغـراء جلب على الآداب شقاء وفـتنة، وعلى الأخلاق بلاء ومحنة. وعمـد الناس إلى أساليب المجاملة والرياء يخـدعون بها الناس، وهى لا تعبر حقيقة ولا مجـازًا عن حقائق النفوس ومشاعر القلوب تراهم فى هذه الحالة لا يقـدمون على الخير إلا مـضطرين، ولا يحجمـون عن الشر إلا متهيبين.

فمـتى وجدوا مخلـصًا من أعين الشـرطة، ومنفذًا من أيدى العـقوبات كانوا أسـبق إلى الخطيئـة من إبليس وجنوده، وأوغل فى الفـتنة من النار فى الحطب، وأدنى إلى الإضرار بالناس من بلية السقم إلى بدن السليم، يتكلفون الحياة الجميلة، فيخطئهم جمالها وتعيبهم تكاليفها.

ثم ترى أحدهم لا ينتهى به السير إلا وقد كشفت الأيام ذنوبه، وأبانت الحوادث عيوبه.

لقد أصبح المرء فى حياته غير المرء فى حياته العامة، وأصبحت الغرف والمنازل غير النوادى والمحافل، وصارت الحياة نفسها ذات لونين، لا يعلم أيهما شر من الآخر، واشتبه فيها البار بالفاجر، والوفى بالغادر، والصريح بالمكابر، وأصبح الداعى إلى الإصلاح متهمًا فى إصلاحه، مستهدفًا لكل سهم من النقد، ولكل جارح من العدوان، إن لم يكن فى شخصه ففى كرامته، وإن لم يكن فى كرامته، ففى سمعته، فالحكم فى هذه الأيام إنما يكون حمدًا وذمًا على مقدار الوجاهة والخمول.

أما الحقيقة فهى وحدها المظلومة المهضومة التى تبكى إلى غير راحم وتستجير بمن لا يجير، إن الفضيلة إن شكت أو بكت، فمن قومها شكواها وبلواها، فهم الذين حفروا بأيديهم لحدها، وباشروا وأدها. إن الله ما ابتلى الإنسانية ببلاء أشد خطرًا على كيانها ومصيرها من الخيانة، فمتى تطهر الأرض منها؟

إن كثرة الخائنين فى الدنيا هى التى تجتث منها أصول المحبة، وتطفئ مصابيح المروءة، وتقلل من أسباب التواد والتراحم. فالأمانة الأمانة، والوفاء الوفاء، أيها العلماء والخطباء، أيها الأزواج والعشراء والأصدقاء، أيها الولاة والقضاة، أيها المتعاملون والشركاء، فإن كانت المحبة غرسًا، فبالأمانة تنمو، وإن كانت النعمة قصرًا، فبالوفاء يعلو ويسمو، فكونوا إخوانا أمناء وعشراء أوفياء.

ومنهم من يتصدى للتدريس مع كونه لم تتوفر فيه شروطه، لا جلها

ولا بعضها، فتراه بليـدًا جافى الطبع نائى الفكر عن المدارك، بعيدًا عن الفهم والحفظ، فتعليم هذا تعنت وتكلف، سـيما إذا كان صاحب نفس غليظة التى هى منبع الظلمات، ومعدن الآفات.

فمثل هذا يزيد النفوس شـرًا، والمريض ضرًا، كالمتكلم فى هذه الأيام، وهو فوق كـرسى الأقراء بكلام لا يـرضاه صريح الـقرآن، وصحـيح السنة. فعـارضه من كـان حاضرًا بـين يديه، حيث ابتـدع كلامًا غـير مـعروف ولا مألوف، وسلك فى درسه طريقًـا غير مذكور ولا موصوف، فـامتعض لذلك أى امتـعاض، وانقبض له صـدره أى انقباض، وأداه شـيطانه إلى أن نزل من الكرسى، وصار يضرب المعـترض على رأسه ووجهـه بمرأى الناس، وأخرجه عن دائرة الإسلام، ورماه بالجـهل والقصور فى فهم الأحكام. ولـم ينفعه إلا أنه خرج من المسجد مذمومًا مدحورا خوفًا من أن يمسه بكذب أو يشهد عليه بزور. كحاله المعروف المقرر المشهور. والأمـر لله الذى لا تخفى عليه خافية، إنه كـريم غـفور. فـالمعلم هـادى الأمة وبانـيهـا وقـائدها. وهو الذى بيـده مستقبلها، بل مـستقبل العالم يصوغه ويوجهه حيـثما أراد وعلى حسب نفعه وقيادته تكون النتيجة.

فإن صلح اسـتطاع المجتـمع الإنسانى الوصول إلـى الأغراض السامـية والأخلاق العـالية التى يسـعى إليهـا، وإلا فما أضـيع المجهـودات وما أضل الطريق وما أظلمه، إن التعليم فن وصناعـة لا كسائر الفنون والصناعات، بل أعظم منها جميعًا وأكبر خطرًا لأنه يتصل بتكوين الأمم أخلاقًا وعلمًا إلى غير ذلك من أغراض الحياة المختلفة التى تنبنى عليـها حياة المجتمع. فوجب لذلك ألا يعهد برتبة التدريس إلا لمن يكون صالحًا لها، ولا يترك أمرها للمصادفات

إذ ليس كل امرئ يصلح أن يكون مدرسًا، اللهم إلا القليل الذى توهب له تلك الصفة، وهذا لا يمكن الاعتماد عليه لندرته، بل لابد من العناية بتدريب كل من يرى نفسه صالحًا للتعليم تدريبًا يؤهله للقيام بأعباء عمله على الوجه الأصلح.

وهناك صفات يجب أن توافر فى كل من يتصدى لصناعة التعليم حتى يكون نافعًا ومؤديًا الغرض المقصود منه.

وأول تلك الصفات ما يتعلق بالأخلاق، فإن لها المكان الأول فى حياة الأفراد والجماعات ويتعلق بها بقاء الأمم أو فناؤها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فيجب أن يكون المعلم قدوة حسنة فى أخلاقهم، فإن المربى لا ينجح فى مهمته حتى ينجح فى مهمته حتى ينجح أولا فى تهذيب نفسه، لأن تعليم الأخلاق للتلاميذ لا يكون تلقينًا، بل إنه يأتى عفوًا وبلا تعمد، وذلك بالأمثلة الواضحة أمامهم ومن أهمها مكارم أخلاق المعلم.

ومن أمثلة الأخلاق الفاضلة فى المعلم أن يكون محبًا لتلاميذه كثير العطف عليهم واجدًا السرور كله فى الاشتراك معهم فى أعمالهم، وتتبع غرائزهم وميولهم، وأن يتحلى بالصبر فى معاملتهم، فإنهم شتى فى الشيم والطباع.

والمربى الحقيقى من يتخذ من ذلك الاختلاف تجاريب يضيفها إلى قوته، ويجب عليه كذلك أن ينسلخ بألأمل مهمًا أظلم الجو أمامه، وأن يطارد القنوط ما استطاع إذا رأى تقصيراً من تلاميذه.

وليعلم أنه ليس شيء ألذ فى الوجود من فوز يسبقه جهاد طويل، ويجب عليه أيضًا أن يكون حازمًا ذا عزم ثابت وإرادة قوية إلى غير ذلك من الصفات الجليلة التى لابد للتلاميذ من أن يأخذوها عنه فتكون لهم عادات بلا عناء ولا كد.

ويتلو الجانب الخلقى فى الأهمية الجانب العلمى فلابد أن يكون المعلم ملمًا إلمامًا تامًا بما يقوم بتدريسه من العلوم والفنون، فذلك يضاعف الثقة المتبادلة بينه وبين تلاميذه ويجبهم فى الاستزادة، ولهذا كان حتمًا عليه ألا ينقطع عن المدارسة والتنقيب، وإلا كان عمله آليًا لا لذة فيه ولا سرور، وأن يكون كذلك ملمًا بخير الطرق وأمثلها فى التعليم منتفعًا بتجاريبه وتجاريب غيره فى هذا الطريق.

وأن ينضم إلى ذلك ميله وشغفه بعمله واستعداده له، فليس أشقى على النفس من التصدى لعمل ليست له أهلا، ولا ينقص عن هذه العوامل معرفته بغرائز الأطفال.

وهذا يستدعى دراسة علم النفس، فإنه معوان له فى تحقيق غرضه، وأن يكون كذلك سريع البديهة صادق الملاحظة.

وإذا نظرنا من جهة أخرى إلى صفاته الجسمية رأينا أن لها أثرًا عظيمًا فى التربية، فإن التلاميذ كما يقلدونه فى أخلاقه يقلدونه فى مظهره وحركاته، فيجب أن يكون مثالا للكمال على قدر الإمكان فى ظاهره وباطنه ليؤدى ذلك الواجب المقدس الملقى على عاتقه بأمانة وصدق.

هذه الصفات المختلفة إذا اتصف بها المعلم استطاع أن يخرج للعالم إنسانًا قويًا وعقلا وجسمًا، وأن يبعث أناسًا عاملين لنعيمهم ولسعادة أوطانهم

وعالمهم الذى يعيشون فيه بهذه الصفات القيمة، فنستطيع أن نسمى المعلم ذلك الأب الرحيم والمربى الحكيم والمخلص الأمين.

ولما كان أمر غالب المدرسين اليوم على عكس ما ذكرنا نرى حال جل تلامذتهم منغمسين فى حمأة الرذيلة وارتكاب الجرائم الوقتية والنهش فى عرض الإنسانية والتساقط على سفاسف الدنيا وأهلها والتكالب على الأشياء الحسيسة التى تشوه وجه المعلم.

ومنهم من تراه معتوهًا ضائع العقل سىء الفكر فاقد التمييز كالصبى الذى لم يبلغ رشده فتراه لا يميز الضار من النافع.

ومن ضلال رأى عدد منهم وطمس بصيرته اتخاذ النزهة السنوية التى احتوت على مفتريات تضليلية، وترهات جاهلية، ولهو ولعب يأباه العلم، وتنزه عنه الإنسانية. كقول خطيبهم على رءوس الأشهاد: روى عن سهلب ابن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الأفراح أنه قال: كان رجل من العرب إذا قام من منامه ولذيذ أحلامه وأكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر إلى صحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعان سكران ريان.

وكقوله فى أول الخطبة أيها الناس مالى أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون، وعن الأرز المخلوط باللحم الضانى تاركون، ونحو هذه اللعبات التى ينبغى لجانب العلم تنزيهه عنها. وموضوع هذه النزهة الشيطانية أربعة: أمير وباشا ومحتسب وقائد دور، وكل من هؤلاء يظهر من اللهو واللعب والحمق ما لا يكاد يصدقه العقل لولا مشاهدته من ذلك الكيفية المختصة بأبهة أمير الوقت، وكذا ولاته، ولكن كلها معكوسة.

ولما علمت الحكومة أن هذا الحال السيء ليس من الدين فى شيء وإنما هو محض لعب قطعت عنهم تلك الأبهة العسكرية المختصة بالحضرة السلطانية وعوضتها بصياح النفارة، ولعلها فى العام الآتى تعوضها بعمل المداحة أو العياطات أو بحليفة الشيخ برغوت.

ولو كن لهؤلاء فكرة علمية وأخلاق إنسانية لما رضوا بهذا الهوان والانحطاط، وأنى لهم الانسلاخ عنه؟ وقد غلبت عليهم تلك الهمجية وصدتهم عن العمل بالقوانين العلمية، ولا مفهوم لهؤلاء، بل حتى طلبة أهل فاس كذلك، وعملهم هذا أحد الوجوه التى حكمت بها الأوروبيون على نحطاط الدين الإسلامى، ويسرنا وأيم الحق كما يسر كل مسلم اهتمام علماء الدين برفع هذه الداهية الدهماء عن هذا الشعب المغربى الذى كان فى القديم شديد التدين كثير التمسك بالشرع المطاع.

ومنهم من تصدى للفتوى ولج فى غمرات أهوالها وتورط فى مخاوفها اغتراراً بزخارفها وكثرة المنازعات الوقتية المتعلقة بها التى زينت له بتلك الفتاوى الموضوعة على الأهواء وجلب الدرهم بالباطل أن يضرب الناس بعضهم ببعض حتى تسيل دماؤهم فيمتصها كما يضرب القادح الزند بالزند ليظفر بالشرر المتطاير منهما.

وبهذا تزايدت الدعوى الباطلة فى الوقت وضاعت الحقوق الشرعية ولا خليل فى الوقت من جورهم إليه المشتكى، ولا أمير يهيئ للمضطرين من تلك الشبكات مسلكًا، وينسخ بصبح رأيه من مكايدهم ظلامًا حالكًا، فلعمر الإنصاف أن الكثير منهم لا يفرق بين ظلمة الليل وصبحها، ولا بين هجو الأعراض ومدحها، صم بكم عمى بالأهواء، أموات غير أحياء.

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال "أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى" وروى عن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) أن أناسًا كانوا يستفتونه، فقال هذا خير لكم وشر لى، وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتوى، وعن ابن سيرين أنه قال: قال حذيفة بن اليمان إنما يفتى الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بدًا من ذلك، أو أحمق متكلف، وكان ابن سيرين إذا سئل عن شىء يقول لست بأحد هذين وأكره أن أكون الثالث.

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"، وفى رواية "فبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون".

قال الشاطبى فى الاعتصام بعد كلام فى هذا الموضوع إنما الترجيح بالوجوه المعتبرة شرعًا، وهذا متفق عليه بين العلماء، فكل من اعتمد على تقليد قول غير محقق أو رجح بغير معنى معتبر فقد خلع الربقة واستند إلى غير شرع ا هـ بلفظه.

قال أبو الليث فى البستان: لا ينبغى لأحد أن يفتى إلا أن يعرف أقاويل العلماء، ويعلم من أين قالوا؟ ويعرف معاملات الناس، فإن من عرف أقاويل العلماء ولم يعرف معاملات الناس ومذاهبهم، فإن سئل عن مسألة يعلم أن العلماء الذين ينتحل مذهبهم قد اتفقوا عليها فلا بأس بأن يقول: هذا جائز،

وهذا لا يجوز. ويكون قوله على سبيل الحكاية، وإن كانت مسألة قد اختلفوا فيها فلا بأس بأن يقول هذا جائز فى قول فلان، ولا يجوز فى قول فلان، ولا يجوز له أن يختار قولا، فيجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجته ا هـ.

وقال الشيخ مرتضى فى شرح الأحياء ما نصه: وأما الصفات المعتبرة فى المفتى فيعتبر فيه الإسلام والبلوغ والعدالة والتيقظ وقوة لضبط، ثم إنه لا يخلو إما أن يكون مجتهدًا أو مقلدًا، فأما المجتهد فيعتبر فيه أمور.

الأول: العلم بكتاب الله تعالى، ولا يشترط العلم بجميعه، بل بما يتعلق بالأحكام ولا يشترط حفظه عن ظهر القلب.

الثانى: سنة رسول الله ﷺ لا جميعها، بل ما يتعلق منها بالأحكام، ويشترط أن يعلم منها الخاص والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ، ومن السنة المتواتر والآحاد والمرسل والمتصل وحال الرواة جرحًا وتعديلا.

الثالث أقاويل علماء الصحابة ومن بعدهم إجماعًا واختلافًا.

الرابع: القياس فيعرف جليه وخفيه، ويميز الصحيح من الفاسد.

الخامس: لسان العرب لغة وإعرابًا لأن الشرع ورد بالعربية.

وبهذه الجهة يعرف عموم اللفظ وخصوصه وإطلاقه وتقييده وإجماله وبيانه، ولا يشترط التبحر فى هذه العلوم، بل تكفى معرفة جمل منها.

وأما المقلد فهو يجوز له الفتوى أم لا؟ خلاف ينبنى على أن موت المجتهد هل يخرجه عن أن يقلد ويؤخذ بقوله أم لا؟

والمسألة فيها وجهان: أصحهما أنه لا يخرجه، بل يجوز تقليده بعد

موته فعلى هذا يجوز لمقلده الفتوى بمذهبه بعد موته، لكن يشترط أن يكون عارفًا بمذهبه متبحرًا فيه بحيث يستحضر أكثره ويعرف المظان ويطلع على المآخذ حتى يتمكن من تخريج ما لا يجده منصوصًا لإمامه على قواعده ا هـ منه.

فتأمل هذا مع ما عليه عمل غالب أصحاب الفتوى اليوم حتى صارت فتاويهم كلها نقضًا وتزييفًا حتى عند الحكومة، وذلك لما فيها من تلبيسات الحق بالباطل وتخريج الكذب الحبريت فى صورة الواقع الذى لا ريب فيه. ماذا نصنع، ونحن نرى الباطل ينتشر فى وطننا، بل وفى غيره من مدن المغرب من طريقين: طريق أعداء الدين، وطريق هؤلاء المفتنين الفتانين على ما عرفوا، وإن لم يكن حقًا ولا راجحًا.

ومن أغرب ما يسمع ويرى أن أكثر المتعاطين للفتوى اليوم لا يتقنون حتى الآجرومية، ولا يستحضرون عن ظهر قلبهم الزقاقية ولا العاصمية.

وأما حديثو السن منهم فلا يسأل، ولو كنت أعجب من شىء لعجبت من هؤلاء.

والمرجو من أمير الوقت حفظه الله، وأيد به الدين المحمدى أن يسرع فى درء هذه المفاسد التى ظهرت على يد هؤلاء الذين ليسوا بأهل قبل أن تكون العاقبة وخيمة.

ومنهم من تصدى للعدالة وأحدث فيها ما ليس منها، وكثر فى ذلك ترداده، وحمله على اقتحام تلك المساوئ والمهالك شهونه وقلة دينه وأهله وأولاده، فصار يقطع تلك الأوحال فى طلب المال. يعجن الوحل بأقدامه

ويحمل راية الزور على هامه، والخزى يبصق فى لحيته، وميازيب القطيعة تنصب على وجنته. فباءَ بصفقه مغبون، وعيشة محزون.

فالعدول زاغوا عن السبيل السوى زيغا لا يعرف قدره إلا من خالطهم وعاثوا فى الأرض بالفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد. أسرعوا إلى جر ذيل الويل، والبلايا على أناس لأجل رضى الوسواس الخناس.

وبالجملة فما هم إلا فتنة أرادها الله تعالى لأهل هذا الزمان وساعدهم على انتشار تلك الفتنة سكوت من بيدهم الحل والربط عن محاربة هذا الداء الوبيل وإغضاؤهم على هذا القذى الذى يعمى العيون ظنًا منهم أنهم سيرجعون بزاجر دينى، فإذا هم قد ألقوا تلك الزورية والأكاذيب التى تركت عالبهم فى الأرض حيران.

وانظر فى هذا الموضوع كتابنا "الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان" فقد مزق غالبهم شر ممزق بأدلة واضحة وبراهين ساطعة [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى].

ومنهم من لا يهنأ له عيش، ولا يهدأ له بال إلا إذا ظفر برتبة القضاء فإذا تمكن منها بأى وجه كان تراه مشتغلا عنها بمناكر صيرته أحط من البعوضة فى جانب النسر، ومن الفأرة فى جانب الأسد، ومن الطفل فى جانب الشيخ، ومن القرد فى جانب الفيل، ومن بيت العنكبوت فى جانب بناء البيت بالحجر، لا يستطيع إبداء السبيل للعمل بالشرع المطاع.

نعم استطاع أن آكل لحم هذا، وشرب دم هذا، وامتش عظم هذا ومص مخ هذا، ذاك ديدنة فى سائر أوقاته الليلية والنهارية، حتى تكون النارَ مثواه،

وبهذا صار حاملا لراية الكفر والظلم والفسوق كما أخبر الله تعالى عن حاله حيث قال [ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون - ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون].

قال أبو وائل سمعت عمار بن ياسر (رضى الله عنه) يقول فى بعض القضاة كان كافرًا، فقلت ما نقول؟ قال الله تعالى يقول [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون].

وأخرج أبو داود والترمذى واللفظ له، وقال حسن غريب، وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال "من ولى القضاء أو جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين".

قال الخطابى معناه أن الذبح بالسكين تحصل به راحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذبحت بغير سكين كان فيه تعذيب لها.

وقيل إن الذبح لما كان فى ظاهر العرف وغالب العادة بالسكين عدل ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه، ويحتمل غير ذلك.

وعلى كل حال فالمراد بذلك الكناية عن أن القاضى عرض نفسه بقبوله القضاء إلى حصول مشقة له لا تطاق فى العادة، وهى ما يلحقه من عذاب الله وغضبه.

ومن ثم نفر السلف عن ذلك نفوراً عظيمًا، ولم يفسق الممتنع عن قبوله، وأن تعين عليه لعذره بخوفه من وقوعه فى ورطاته وغوائله الكثيرة القبيحة الغالب حصولها لمن دخل فيه.

وأخرج أبو داود والترمذى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال "القضاء ثلاثة: واحد فى الجنة، واثنان فى النار. فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار".

وأخرج الترمذى، واللفظ له، وقال حسن غريب وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال "القضاة ثلاثة: قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة. رجل قضى بغير الحق يعلم بذلك فذلك فى النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار، وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة".

فأخبرنى بالله عليك هل رأيت فى وقتك هذا أو سمعته من ثقة أن قاضيًا من قضاة الوقت تحفظ من المحاباة والمداهنة، ومراعاة خواطر الناس مراقبًا لله تعالى وحده، لا يخشى فى الله لومة لائم، كلا، بل لا تراه إلا ظالما جبارًا عنيدًا غشاشًا طماعًا، أكالا أموال الناس بالباطل، حريصًا كل الحرص على اتصال إذاية كل من حصل بشبكته.

سئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال نعم: ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العباد. أولها: ترك الشكر على الإسلام: والثانى. ترك الخوف على ذهاب الإسلام. والثالث: الظلم على أهل الإسلام.

وروى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال "ليأتين" على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة واحدة فقط.

وروى الطبرانى "من ولى شيئًا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى

يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنًا نجا، وإن كان مسيئًا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفًا.

وروى أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال "ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولا يوم القيامة يداه إلى عنقه، فكه بره أو أوثقه إثمه.

وقال محمد بن واسع: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة.

وقال على (رضى الله عنه): سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس من قاض ولا وال إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط، ثم تنتشر سيرته فتقرأ على رءوس الخلائق فإن كان عدلا نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به الجسر انتفاضة فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم.

وقال محكول: لو خيرت بين القضاء وضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى ولم أختر القضاء.

وقال أيوب السختيانى: إنى وجدت أعلم الناس أشدهم هربًا منه.

ولما كان هؤلاء أجهل الناس اشتد شغفهم بها، وصاروا يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار، وصارت تجارة فى الوقت تباع وتشترى.

فمنهم من ملكها بعشرة آلاف ريال، ومنهم من ملكها بعشرين ألفًا ومنهم من ملكها بخمسين ألفًا، ومنهم من ملكها بمائة ألف ريال.

وترى القاضى الداخل لها بهذه الأموال لا يمكث فيها سنة إلا وقد تخلص من ربقة ذلك القدر المدفوع فيها مع زيادة توفير يناظر ما دفعه فيها،

وذلك بسبب فكرته وفكرة عدوله اللأئذين به الراغبين فى ارتكاب ما يرضيه، فتراهم يجتهدون طول يومهم وليلتهم فى كيفية التوصل لشهادة الزور حتى يجدوا ما يأتون به لسيادة القاضى من ذلك الوجه، ويعلم القاضى أن ذلك زور محض، ولكن لكثرة النفع الممدود له منهم بسببه تمنى أن تكون القضايا التى تروج بين يديه كلها زوراً، وأن تعظم الفتن والخصوم بين الزوج وزجه، وترامى الناس على أملاك بعضهم بعضًا بالباطل والعدوان، حتى لا يجد مسلم راحة من هاتيك الفتن.

وحق لى أن أقول كلمات، وهى أنا نرى من تسمو بالمسلمين الآن لم يحرزوا من الإسلام إلا اسمه، ولم يدركوا من الدين إلا رسمه، رفضوا جميع آداب الإسلام وابتعدوا عن كل خير أمرهم الله به، وليتهم بعد هذا الخزى المبين كانوا على فطرتهم التى فطرهم الله عليها. بل عمدوا إلى محارم الله فاستباحوا حماها ومنهياته فأخذوا فيها كل مأخذ.

وإن أشد العصاة المذنبين خطراً فى هذه الحياة شاهد الزور، فشاهد الزور مصيبة على العامل أجمع، شاهد الزور لا يدرى إلى من أساء بشهادته، أساء أولا إلى نفسه فقد باع آخته بدنيا غيره، أساء إلى من شهد له فقد أعانه على الظلم وأوقعه فى الإثم، وأوقعه يوم الفزع الأكبر بين يدى جبار لا يرحم من ظلم ولا يغفر لمن أساء إلى خلقه، أساء إلى من شهد عليه، فقد أضاع حقه وخذ له فى وقت احتياجه إلى الناصر والمعين، أساء إلى القاضى، فقد أضله عن طريق الهدى، وطمس عليه معالم الحقيقة، ولولا شهادة هذا الأثيم لكان من المهتدين، أساء إساءة أكبر من ذلك كله، أساء إلى مولانا محمد ﷺ إذ خالف أمره ورفض هديه واتبع هواه (فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين).

لست أدرى ما الذى يدعو شاهد الزور إلى شهادته إن كان ما يأخذ من المال فقد خسر من يبيع جنة عرضها السموات والأرض بدراهم لا تغنى فقيرًا ولا تشبع جائعًا، إن كان صداقته لمن شهد له فبئست الصداقة التى يجربها على صديقه الخزى والعار فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إن كان الخوف ممن شهد له فيعلم أن ما يصيبه من الضرر فى لدنيا إذا استقام فى شهادته لا يقاس بعشر ما يصيبه من العذاب الأليم والعقاب الشديد إذا هو شهد شهادة الزور.

تجاهر القضاة فى أخذ الرشوة

وزد على ما ذكرنا تجاهر القضاة فى جميع أحكامهم بأخذ الرشوة والتصريح بذلك بمرأى الناس حتى أن أحوج الناس لا يسلم منهم ولا يشوه فى وجهه ألمًا يدفها ولو بخمسة فرانيك أو دجاجة، وهذه الفتنة قد عمت فى هذا الوقت حتى صارت الأغراض لا تقضى إلا بوجودها، واستوى فيها الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم، وهذا شىء فى الوقت مقرر معلوم.

ومما جاء من الوعيد فيها قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) أى لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حق غيركم.

وأخرج أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال "لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى". وأخرج الحاكم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال "لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى فى الحكم والذى يسعى بينهما". وأخرج الطبرانى بإسناد صحيح عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال: الرشوة فى الحكم كفر وهى بين الناس

سحت. قلت وكون الرشوة فى الحكم كفر لأنها تؤدى إلى أن يحكم القاضى بالباطل ولابد، فإذا حكم به، فقد دخل فى قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وقد تقدم لنا عن أبى وائل أنه سمع عمار بن ياسر يقول فى بعض القضاة كان كافراً، فقلت ما تقول؟ قال إن الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

ورد على هذا استنباط المنازعات فى القضايا التى تروج بين يديه لأجل طولها بحيث تكون القضية بنت ساعة فيولدون فيها منازعات وإشكالات حتى تصير بنت سنة، بل إلى عشرين سنة، بل ربما امتدت إلى وقت الصاعقة الكبرى، وكل ذلك لأجل اختلاس الدرهم والدينار، وهذا دأبهم مدة مكثهم فيها، وفى الحديث "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها".

ومنهم من يمكث فى القضاء نحو الأربعين سنة فأزيد وربما دخل له وهو لا يجد ما ينفق وخرج منها بموت أو عزل، وقوم ما بين يديه بالملايين العديدة التى لا توجد إلا عند أمير الوقت، وما ذاك إلا من أجل ما ذكرنا لك سابقًا.

وقد قال علماء الدين: من الأمور المستحسنة أن لا يبقى العامل أكثر من سنة، لأن العمال محمولون على الظلم والطغيان ولا تحتاج فى إثبات ظلمهم إلى بينة لا سيما إن طالت ولايتهم كبعض الفراعنة فى وقتنا هذا وإلا فينقلونه إلى جهات متعددة مددًا وجيزة، ولله در من قال:

لا تنكر الظلم ممن دام فى عمل ... فإن طول مداه فيه أطغاه

وكثيـراً ما أسمع عنهم أموراً يسـتنكفها العقلاء وتوجب الـقطع واليقين بأنهم ليسـوا من المتقين بل ولا من المسلمين، ولكـن خوفًا من التعـرض بغير حقيقة لم أدخل فى أمـرهم حتى الآن، ولا مفهوم لهم فى هذا الوصف، بل عمال الوقت كلهم على هذا الأنموذج الحالك لا النادر، والنادر لا حكم له بل هم أضل من وجهـين. الأول: كونهم لا يعلمون حكم الـله المتعلق بهم فى توليتهم، بل حتى فى الضروريات الديـنية، وربما تجد منهم من قطع عمره فى سرح الدواب أو فى التلصص. ومنهم من له مسكة من العلم لكن لما يدخلها يصير عـدواً للعلم الوجه الثانى: كـون غالبهم يدخلها بالشـراء ودفع الأموال الباهظة فيها لا يخفى أن المناصب الشرعـية اليوم كلها بالبيع والشراء، عكس ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الأبرار ومن بعدهم من أهل الدين.

وهذا من بدع أهل الوقت التـى طغى فسـادها على الإسـلام وعظم به الجهل واستحكم أمره.

وبالجملة فمغربنا أصبح من السنة خاليًا ناهجًا نهج الجاهلية الأولى.

وانظر إلى قوله ﷺ حسبما رواه أبو مـوسى الأشعرى كما فى الصحيح "أن رجلين دخـلا على رسول الله ﷺ وسـألاه فقالا اسـتعـملنا على بعض أعمالك فإن عندنا خبراً وأمانة، فقال النبى ﷺ إنا لا نستعمل على عملنا من أراده وطلبه".

فانظر هذا مع حـال من بذل فيها ألـوفًا من الريالات، فلذلك نرى كل من تلبس بها لا فرق بينه وبين اللص فى شىء، بـل نراه لا يرحم صغيراً ولا يوقـر كبـيراً، يحـرص كل الحرص على إذايـة كل من يلى أمره من قـبيلتـه خصوصًا عند إبان الضرائب المضروبة عليـه من قبل الحكومة، فتراه يأخذ من

صحب العشرة مثلا عشرين، ومن صاحب العشرين خمسين، ومن صاحب المائة المائتين، بل يوظفها حتى على من لا شيء بيده.

وأما من كان ساخطًا عليه سابقًا لكونه كان يأتيه برأس من الغنم أو بطة زيت أو قلب سكر أو قفة من بيض، وترك ذلك لأجل فقر أو وقوف مع الحديث السابق فلا تسأل عن حاله معه فيها، ومن أبى ذلك وأراد أن ينتصر لنفسه من تلك المهالك أضعف عليه العذاب على مقتضى هواه فيه، وذلك بأن يصنع له شبكة يعجز إبليس اللعين عن إدراكها وتصورها، فإذا وقع فيها لا يكون له سبيل إلى الانسلاخ عما فيه من العذاب إلا بالتخلى عما بيده للقائد ويصبح فقيرًا بعد أن كان غنيًا، وميتًا بعد أن كان حيًا، ودنيئًا بعد أن كان شريفًا، وفاسقًا بعد أن كان تقيًا، وشيطانًا مريدًا بعد أن كان وليًا، وتصير حرقته إذن أحد وجوه ثلاثة: إما جمع الحطب أو سرح الدواب أو التلصص فى الطرق والأعتاب، والحكومة لأغرض لها فى البحث عن بواعث الجرائم التى هى فى غالب الأمر مزورة بل غرضها الأكيد التوصل للأموال وإنجاز حكم القائد بحق أو بباطل، وهيهات أن يعرف القائد الحق، وبينه ما بين الثرى والثريا.

وبهذه السيطرة الممدودة من قبل الحكومة لكل قائد من قادة المغرب كله أمكن لهم أن يصيروا أصحاب البوادى قبيلة قبيلة كالغنم أو البقر يجزونها حيث شاءوا ويحلبونها أو يتخذونها قد يدا.

ولو وجد عمال الوقت السبيل إلى أن يجعلوا: الخراج على الوحش، والجزية على السمك، والزكاة على الملائكة، بل وجمع الريح والقبض على الماء وحصر الحصا وتحصيل الهباء لفعلوا.

وكيف لا؟ وهم أظلم من حية، وأعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجلندى الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا.

ولهم فى هذا الظلم الفاحش والجور الشنيع المستفاحش أعوان هم فى الحقيقة كزبانية النار لا يعرفون وجهًا من وجوه الشفقة والرحمة المدعوون بشيوخ القبيلة، فإذا قال القائد لأحدهم: افرض على فلان عشرة مثلا فلا بدله أن يزيد عليه نحو الثلث وهوله، والمفروض للقائد، ولهذا تجد الكثير من شيوخ القبيلة كاد أن يضاهى القائد فى تموله. وربما حاول بعضهم شراء رتبة ذلك القائد ويحرض كل الحرض على نيل تلك المسالك التى لا مسئولية عليها ولا مراقبة.

وبسبب هذا الظلم وكثرة الجور والفجور من القادة أصبح أهل البوادى بالمغرب لا يفرقون بين ضلال وهدى وفسق وتقى، بل صاروا همجية محضة وأضحوكة حتى فى نظر الأوروبيين، وكل ذلك فى صحيفة القادة الضالين المضلين الفتانين الذين لا ينسلخون من تجشم عقبات الأوحال من إسراف فى ظلم، وجور فى حكم، وقتل نفس ظلمًا وعدوانًا، وارتكاب أخس الأحوال من زنى ولوط، وفك ختام الأبكار، والتفريط فى كل شىء بشىء، والإفراط إلى أن لا نبقى عليهم سمة من سمات الإسلام، ولا ما يصح أن يتسموا به مسلمين.

وبالجملة لو تتبعنا تلك المساوئ التى نراها ونسمعها عنهم صباح مساء لضاق بنا لأمر عن مرادنا، ولعلنا فى المستقبل نكشف الغطاء عنها، وعن المساوئ الوقتية زيادة على ما قدمنا، وتسمى "الصواعق السماوية فى كشف الغطاء عن المساوى الوقتية" إذ بإظهار ذلك صلاح البرية، ورحم الله الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان إذ يقول:

من الدين كشف العيب عن كل كاذب وعن كل بدعى أنى بالمصائب

ولولا رجال مسلمون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

وإنى كما قال الشاعر:

أحارب الدهر ليس ينفعنى إلا الثياب وحسبى من أصافيه

وليس يعجزنى عن كسر فيلقه إلا المنايا تفاجئنى فتحمينى

إن المنايا سهام الله سددها وليس يخطئها ما الله راميه

حال أهل البوادى اليوم فى العقائد والعبادات الدينية

ثم إن الشيخ عبد الهادى التفت إلى عبد الباسط وقال: لله درك لقد شنفت الأسماع بمسامرة بديعة الشكل بعيدة المرمى، وإن كانت محبوبة على تلك الحالة السيئة التى عليها قادة الوقت الذين رماهم الدهر بسهامه وهاجمهم الجهل بأنيابه، ولكن بلسان الإنسانية نثنى على همتك وغيرتك الوطنية بين أبناء جلدتك المراكشيين الثناء المستطاب، ولكن لا نحب منك أن تكون القضية انتهت إلى هنا، بل نريد أن تخبرنا عن وصف أهل البوادى اليوم فى العبادات والعقائد الدينية.

فقال عبد الباسط: وأى شىء أعبر لك به؟ قوم مذهبهم قلة الوفاء، وعدم الأنس والصفاء، لا يؤدون الفرض، ولا يعرفون السنة من الفرض، إن عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقمت لهم الشرع رفضوك، وإن ألنت لهم الجانب مقتوك، العالم عندهم حقير، والظالم عندهم كبير، فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والأبقار، وملازمتهم لشيل الطين والفاس والمحراث والعفار، وعدم اكتراثهم بأهل اللطافة، وامتزاجهم بأهل الكثافة،

كأنهم خلقوا من طينة البهائم، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً، عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقى مكشوفة، وثيابهم بالنجاسة محفوفة، يجتمعون لحساب المال وللأكل والشرب فى المساجد، وليس فى الكثير منهم راكع ولا ساجد، أولادهم دائمًا كالعريانين، وتراهم فى صورة المجانين، الرحمة فيهم قليلة، والرأفة من قلوبهم متروكة عليلة، لا يلبسون على طهارة قميصًا، وعيشهم دائمًا فى تنغيص، نساؤهم يدخلن الأفران، ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهن الدخان، وتظهر عليهن روائح كريهة، تنصدع من نتنها الجوارح والأركان، أغراسهم مثل الغارات، أو تعفير الكلاب فى الحارات يدورون بالعروس دورة وهم فى غارة أو غورة وصراخات، ودواهى وبليات وزعيق وصياح، والكلاب عليهم تنبح، وشعراؤهم تمدح، والتعريجة والكنبرى والبندير تضرب، والنساء فى زينتهن والصبيان حولهن تلعب. قد نشأوا على التعب والنصب، والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل لا يجدون من يرشدهم للعبادة والصلاة، ولا يرضون بذلك، ولا يحومون حول تلك المسالك، ولا يعرفون غير الثور والمحراث، والضرب والسب وأكل أموال الناس بالباطل فى جميع الحالات، فهم همج الهمج، بل حكمهم حكم البهائم.

فقال له عبد الهادى أخبرنا عن عقائدهم؟. فقال عبد الباسط: أما إتقان عقائد التوحيد على الوجه الذى قرره أئمة أهل السنة العارفون الأخيار، فقليل من تيقن به من أهل الحواضر فضلا عن أهل البادية فى هذا الزمن الصعب الذى فاض فيه بحر الجهالات، وانتشر فيه الباطل أى انتشار، ورمى فى كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق، وبغض أهله وتزيين الباطل بالزخرف.

وقد شاهدنا كثيرًا ممن لم يأخذ فى هذا العلم وله نجابة فى غيره من العلوم لا يحسن العقائد تقليدًا فضلا عن أن يحسنها بالنظر، بل وقد شاهدنا فى الحواضر كذلك بعض من أخذ فى هذا العلم ولم يتقنه. أما العامة فأكثرهم ممن لا يعتنى بحضور مجالس العلماء ومخالطة أهل الخير نتحقق منهم اعتقاد التجسيم والجهة وتأثير الطبيعة، وكون فعل الله تعالى لغرض وكون كلامه جل وعلا حرفًا وصوتًا، ومرة يتكلم ومرة يسكت كسائر البشر ونحو ذلك من اعتقادات أهل الباطل، وبعض اعتقاداتهم أجمع العلماء على كفر معتقدها، وبعضها اختلفوا فيه، وكثير من أهل البادية ينكر البعث.

وفى المعيار قال الشيخ الوغليسى رحمه الله من نطق بالشهادة ولا يعرف ما انطوت عليه لا يقول أحد أنه مؤمن، ومن اعتقد شيئًا من الاعتقادات المجمع على كف معتقدها فلا ينفعه نطق بإجماع المسلمين ا هـ.

وقال أبو القاسم بن خجور رحمه الله من لم يعرف معنى الكلمة المشرفة ولم يفرق بين الخالق والمخلوق، ولم يتيقن بالبعث فهو من الكفار المجوس لا تحل ذبيحته ولا نكاحه حتى يتوب ويتعلم ويدخل بالاعتقاد الصحيح فى الإسلام ا هـ.

قال القاضى أبو الفضل عياض رحمه الله: الإيمان الموقوف عليه دخول الجنة معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز من بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام والتكليف وجزاء الآخرة ا هـ.

وقال أبو زكريا فى نوازله من نشأ بين المسلمين، ويقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلى ويصوم ولا يعرف معنى الشهادتين أنه لاحظ له فى الإسلام، وحكمه كالمجوس إلا فى القتل فلا يقتل حتى يمتنع من التعليم اهـ.

وقال ابن أبى الرجـال: من أراد مناكحة من ظاهره الإسـلام، والغالب عليه الجهل المؤدى إلى الكفر، فيجب عليه البحث فى ذلك غاية البحث، وإن لم يكن الغالب عليـه ذلك فلا يجب عليه. ثم قـال والغالب على الناس فى هذا الزمان الجهل والشك الموجبان للكفر ا هـ.

وسـئل الشيخ الوغلـيسى عن رجل اختبـر زوجـته، فـوجدها تجـهل الوحدانية، وتشك هل لله ولد، وأن الرسول بشر، فأجاب تلك الزوجة كافرة ا هـ. وقال القاضى عياض: لا ينتفع بالشـهادتين إلا مع صحة اعتقاد المعنى ا هـ. وفى المعيار قـال سيدى أحمد بن عيـسى: من يصلى ويصوم ويحج ولا يفهم ما انطوت عليه الكلمة المشرفة، فحكمه كالمجوس فى جميع الأحكام إلا فى القتل فلا يقتل، حتى يمتنع من التعليم ا هـ.

وقال الشيخ خليل فى التوضيح: يحصل الكفر بحصوله فى القلب ولو لم ينطق به لأنه مقام خسة ا هـ.

وقال الإمام الـبكرى: الكافر على قسمـين: معاند وجاهل، وكـلاهما مخلد فى النار بلا خلاف، وسواء عالم بجهله أم لا ا هـ.

وبالجملة فإن أكثر الناس فى زماننا هذا خـصوصًا فى البوادى ليسوا فى التقليـد الموافق للحق، بل فى الاعتقـاد الفاسد والجـهل المركب، وما ذاك إلا لقرب هجوم أشراط الساعة الكبرى.

فقال عبـد الهادى: أخبرنا عن صلاتهم. قـال فإن لهم فى الصلاة، بل وجميع العبادات فظائع يتناءى عنهـا المجنون، فمن ذلك ما بلغنى عن بعضهم أنه لما أراد أن يصلى قرأ الفاتحة ووضع يده على رأسه. وقال آه يا رأسى فقال له رجل منهم قـد بطلت صلاتك، فـقـال المصلى: أنا لم أشتك إليك حـتى

تبطل صلاتى، وإنما اشتكيت إلى الله وجع رأسى، ثم إنه ركع وصلى وأتم صلاته، ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول الرجل.

وصلى آخر فأجرم بالصلاة، وقال يارب خل لنا بهائمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وأدياكنا، وأكثر زرعنا، وخل لى ولدى، فقال له رجل بطلت صلاتك، فقال المصلى أنا سمعت هذا الكلام من أبوى وجدى قبل موتهم كلهم يقولونه فى صلاتهم، ثم إنه ركع وأتم صلاته.

وصلى آخر فلما ركع بان إيره وانكشفت عورته، فقبض عليه رجل آخر من خلفه، فصرخ بقوله: أظلقنى، فضحك وأطلقه، ثم إنه أتم صلاته على هذه الحالة.

وصلى آخر، فلما كان فى الركعة الثانية نادى زوجته اكطيفا فأجابته فقال لها اسقى البهيمة، فإنى قد غفلت عنها، وأتم صلاته.

وصلى آخر فلما جلس للتشهد الأخير جاء ولده فقال له: يا أبت البقرة جاءت من السرحة، فقال له وهو متلبس بالصلاة: اذهب إلى أمك وقل لها تحلبها، ثم سلم بعد ذلك من الصلاة.

وصلى رجل آخر، فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه، وأمسك لحيته بيده. فقال له يا ولدى انزل عن حتى أتم صلاتى، ثم إنه تشهد وأتم صلاته.

وصلى رجل منهم، فلما كبر ورفع يديه وقال: والتين والزيتون جئتك يارب بلحيتى وذاتى وقفاى ومركوبى لا تردنى يارب خائبًا، لا من رحمتك ولا من رجاك الله أكبر: هكذا بهذا اللفظ وركع وصلى.

وصلى آخر، فلما قرأ الفاتحة، وبلغ قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) أبدل النون ميمًا، وقال اهدموا الصراط المستقيم، فقال له رجل عارف بطلت صلاتك، وأى غرض عندك فى هدم الصراط المستقيم.

وصلى بعضهم بجماعة، وكانت الصلاة جهرية، فلما قرأ الفاتحة وأتى إلى آخرها قال: ولا الضالون، فقال رجل من خلفه آمون، فالتفت إليه الإمام وقال له: لحنت. فقال المأموم: بل أنت كفرت. ثم أتم صلاته وانصرف.

وصلى آخر، فلما سجد لدغته عقرب. فضرط من شدة اللدغة. ثم رفع رأسه بسرعة وقال: يارب أنت تعلم ما ضرطت بخاطرى إلا غصب عنى سامحنى يارب. ثم إنه تشهد وسلم.

وصلى آخر، فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضًا فنادى زوجته اغطيفة أن تأتيه بنعله فجاءت به، فأخذها ووضعها تحت جبهته وأتم صلاته عليها.

وصلى آخر، فلما أراد أن يكبر. قرأ دعاء الافتتاح بهذا اللفظ: لقحت وجهى للى شرح السموات والأرض لأنى لا حنيفًا ولا مسلمًا ولا من القوم الكافرين. فقال له رجل عارف: كان حاضرًا بين يديه، ومن أى ملة أنت قاتلك الله.

ومنهم من إذا توضأ قدم غسل وجهه على استه ويقول: لا أقدم السوءة على الوجه لئلا يتلطخ وجهى بالعذرة.

وقال بعضهم: كنا نتوضأ وضوءة تكفينا الأسبوع والأسبوعين حتى جاءنا هذا الشيخ الفقيه وأمرنا أن نتوضأ كل يوم، ولقد أفسد علينا ما كنا فيه، وما كان عليه أسلافنا عليهم الرحمة.

وتغوط بعضهم ثم أقبل، فقيل له ألا تمس ماء فتنظف به؟ فقال هبونى غسلت ظاهرها، فكيف أصنع بباطنها؟ فقيل له أنت مأمور بغسل ظاهرها: يعنى سوءته، فقال دعونى من هذا، فقد أدركت آبائى وأسلافى وأقاربى على هذا العمل، وليست أيمانكم أصح من أيمانهم، ولا من اعتقاداتهم، فالشقى من قلدكم.

وقال بعضهم: إنى لأسبغ الوضوء وما تقع على الأرض منى قطرة، فقال له بعضهم: أتتبجح علينا بهذه الكرامة، وقد كان أبى أسبق منك إليها. وكان بعضهم يعاتب ابنه فى تركه الوضوء والصلاة، فلما أكثر عليه قال يا أبت: إما أن أتوضأ ولا أصلى، وأصلى ولا أتوضأ ولا يكون غير هذا. وألزم بعض الولاة أحدهم أن يلازم الصلاة، فقال:

ألم تعلموا أن الخليفة لزنى ... بمسجده والقصر مالى وللقصر

أصليها كرهًا على غير نية ... فمالى فى الأولى ولا العصر من أجر

ويحبسنى عن مجلس أستلذه ... أعلل فيه بالغناء وبالخمر

وما ضره والله يصلح أمره ... لو أن ذنوب العالمين على ظهرى

وكانت امرأة منهم صالحة تكره ابنها على الطهارة والصلاة وهو يأبى، فألحت عليه، فقال أرضى بأحدهما، فقالت رضيت بالطهارة، فلما تطهر. قالت له صل فالطهارة بلا صلاة ليست بشىء، فضرط وقال: نقضت فنقضنا.

وأقام بعضهم يريد الصلاة، فقال على العمل الصالح قد قامت الفلاح ثم قام يصلى فقال: اللهم حسبى ونسبنى، واردد ضالتى، واحفظ هملى،

واحبس زوجتى الضاويا، والسلام عليكم. فقال له رجل: ما هذه بصلاة ولعلها مردودة عليك، حيث ذكرت زوجتك الضاويا على ما هى عليه من الفسق، والمصلى لا يذكر الفسق والفساق فى صلاته، فقال له اسكت يا حمار أنا أعلم الناس بالدين فى هذه القرية.

ودخل بعضهم للحاضرة، فقام يصلى فى الصف الأول مع الإمام، فقرأ الإمام (ألم نهلك الأولين)، فتأخر إلى الصف الآخر، فقال (ثم نتبعهم الآخرين)، فخرج من المسجد يقول: يا ابن الفاعلة أهلكت الفريقين.

وبلغنا أن أعرابيًا كان فى يوم بارد، وقد عمد إلى أكمة، فكنسها بشملته، ثم توجه إلى القبلة فقال:

إليك اعتذارى من صلاتى قاعدًا ... على غير طهر مؤمنًا نحو قبلة

فمالى يبرد الماء يارب طاقة ... ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى

ولكننى أحصيه والله جاهدًا ... وأقضيكه يارب فى وجه صيفتى

فإن أنا لم أفعل فأنت مسلط ... بما شئت من صفعى ومن نتف لحيتى

قال بعضهم لرجل منهم كان يأتى صلاة الجمعة من أربعة فراسخ، ويكترى حمارًا بأربعة دراهم. أنت تسير أربعة فراسخ، وترجع أربعة، وتضيع أربعة، وتغرم أربعة.

وكان بعضهم يتبطأ عن الجمعة، فرأى من يستعجل ويقول: أخشى أن تفوتنى الجمعة، فقال أنا أخشى أن أدركها.

وقدم بعضهم إلى القائد وقال: إن فلانًا أفطر فى رمضان، فقال الأعرابى إن الله يعلم إنى صائم ولكنى وجدت حماوة فى فؤادى، فأردت أن

أفتأها بشربة لبن. فقال القـائد: قم فلا شيء عليك، ولو زدت عليه آكل خبز الشعير أو العصيدة لضربتك عشرا.

تحريف غالب قراء هذا الزمن للقرآن

فقال عـبد الهادى: أخبـرنا عن قراءة القرآن عندهم، فقـال أما قراءتهم للقرآن عند غالبهم، فلا تسأل عن التصحـيفات المستهجنة، من ذلك ما بلغنى عن بعضهم أنه قرأ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخريته بالراء.

وقرأ بعضهم بشوال نعجتك بدل قوله تعالى - (بسؤال نعجتك).

ومنهم من يقرأض والقرآن بدل ص. ومنهم من قرأ وفرش مرقوعة بدل مرفوعة.

ومنهم من يصحف ويؤول برقاعته. كقـراءة بعضهم، فأوجس فى نفسه جيفة، فقيل له، إنما هو خيفة بالخاء، فقال لا بل لأنه توضأ ولم يغسل استه.

ومنهم من قرأ: فاسأل به جبيرا، فقيل له: من جبير؟ وإنما المراد خبيرا. قال لا بل والد سعيد. قيل لبعضهم ما نقرأ فى صلاتك؟ قال أم القرآن ونسبة الرب، وهجاء شيخ القبيلة.

وسرق بعضهم غـاشية سرج، فدخل مسجـدًا يصلى، فقرأ الإمام (هل أتاك حديث الغـاشية) فقـال البدوى: اسكت لقد أخذت فى الفـضول وأنت تصلى، فقرأ الإمام (وجوه يومئذ خاشعة) فـقال ها هى غاشيتكم فلا تخشعوا وجهى، وخرج هاربًا ولم يصل، وأحوالهم فى هذا كثيرة مشهورة.

تصحيف غالب أهل هذا الزمن
فى قراءة الحديث وروايته

فقال له عبد الهادى: أخبرنا عن تصحيفاتهم فى الأحاديث، فقال حدث عن البحر ولا حرج. من ذلك قولهم كان النبى ﷺ يكره النوم إلا فى القدر. وإنما هو الثوم لا النوم.

ومن ذلك قولهم: لا يدخل الجنة قباب، وإنما هو قتات: أى نمام. ومن ذلك قولهم: كان النبى ﷺ يحب العسل يوم الجمعة، وإنما هو الغسل. ومن ذلك قولهم: عن الرجل ضيق أبيه، وإنما هو عم الرجل صنو أبيه. ومن ذلك قولهم: لا يرث جميل إلا بثينه، وإنما هو لا يرث حمل إلا ببينة. ومن ذلك قولهم: إذا أردت أن تنعظ بالنون، فادخل المقابر، وإنما هو تتعظ.

وقال بعضهم: حضرت شيخًا من أهل البادية، فصار يحدث، عن رسول الله. عن جبريل. عن الله. عن رجل. فقلت له من هذا الذى يصلح أن يكون شيخ الله فى نظرك؟ فسكت ولم يبد جوابا.

تخبط الفقهاء وتلاعبهم مع العامة بأمور الدين

فقال عبد الهادى: فأخبرنا عن فقهائهم، فقال لا تسأل عما يقع منهم من الجهل المركب، وقلة العقل، والخبط فى الدين. ولنذكر لك بعض البعض من هذا فنقول:

سئل بعضهم: لم يرفع الكلب رجله إذا بال؟ قال مخافة أن ينجس سراويله. وقيل لآخر إذا دخلت النهر لأغتسل، ففى أى جانب أفضل أن أقف؟ فقال فى الجانب الذى فيه ثيابك لئلا تسرق.

وجاء رجل منهم إلى آخر فقال بأى رجل يجب أن يجب أن يبدأ من بدخل المسجد؟ فقال ما هذا مما يسأل عنه ولكن قد قيل للعروس ضعى رجلك اليمنى على المال والبنين.

وقال رجل لمفت منهم: أسلمت ثوبًا إلى الحائك فالدقيق الذى يكون عليه على من يجب. هل على، أو على الحائك؟ فقال الدقيق ولعنة الله على الحائك.

واستفتى بعضهم فى رجل دخل الحمام وقعد على الحوض، فضرط فيه فتحول الماء زيتا، فقال إن لصاحب الحمام نصف الزيت لأجل مائه، وللضارط النصف لحط وجعائه، وعليهما أن يعلما المبتاع بنجاسة منشئه، وقذر مبدئه ليستعمله فى أسرجته دون أطعمته.

وجاءت امرأة إلى قاض منهم فقالت: مات زوجى وترك أبويه وولدًا وامرأة وأهلا وله مال، فقال: لأبويه الثكل، ولولده اليتيم، ولامرأته الخلف ولأهله القلة والذلة، والمال يحمل إلينا، حتى لا تقع بينكم الخصومة.

وقال قاض منهم: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها فى موضعها ثم يصعد، فقيل له: والقطرة التى تقع فى الكنيف يدخل معها الملك، فقال إن فى الملائكة كناسين كما فى الناس.

وقال بعضهم: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور، فقيل لعلك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة، فقال لو كان كذا لم يكن بعجب.

وقال آخر: يا قوم اشكروا الله إذا لم يكن للملائكة نجاسة فكانوا يخرءون علينا ويلطخون ثيابنا ونحن لا نراهم.

وقال آخر: احذروا الله، فقيل له كيف؟ فقال أهلك عالمًا فى سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل ابن نبى فلم ينتطح فيه عنزان، وربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير.

وقيل لآخر: ما تقول فيمن خصى نفسه قال: أما إن قصد الإضرار بامرأته حد. وقيل لبعضهم: إن نصرانيًا قال لا إله إلا الله، فقال يؤخذ بنصف الإسلام، وإن مات دفن بين مقابر المسلمين، ومقابر النصارى. وقيل لبعضهم ما حد الشبع، فقال هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه.

وقيل لبعضهم: أتروى شيئًا من الأحاديث؟ قال نعم حديثًا واحدًا، قيل ما هو؟ قال: حدثنى أبو زيد عن ابن القاسم عن المقدورى عن ابن العون عن محفوظ عن جحذر عن القاضى أبى عيسى عن شريك عن المغيرة عن إبراهيم مثله، قيل مثل أى شىء؟ قال ما أدرى هكذا سمعته.

وقيل لبعضهم: لما ولد له ولد جعله برًا تقيًا. فقال بل جعله جبارًا عصيًا يخافه أعداؤه، ويؤمله أولياؤه.

قيل لبعضهم: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالمًا، أو مظلومًا؟ فقال بل ظالمًا، قيل ويحك ولم؟ قال ما عذرى إذا قال لى خلقتك قويًا. ثم جئت تستعدى.

وقيل لبعضهم ما تصنعون فى عيدكم، حتى يقال فى لدعاء عليهم باعك الله فى البادية. قال نجيع كبده، ونعرى جسده، ونطيل كده، وتكترى جلده.

اشترى بعضهم عبدًا، فقيل إنه يبول فى الفراش، فقال إن وجد فى دارنا فراشًا فليبل فيه.

وقال بعضهم لفقيه منهم: رأيت كن على قميصًا رقيقًا وجبة وكساء متخرقة، وفى كمى فلوس، وفى عنقى هاون، وإلى جانبى دابة، فقال له نامت عيناك ما أحسن ما رأيت: القميص الرقيق دينك، والجبة والكساء المخرقة ضراطك فى الصلاة. والفلوس سوف تفلس، والهاون أن تهان بين أقارنك، والدابة أن يدب إليك من يقتلك ولو فى بيتك. فقال أهذا تأويل رؤيتى؟ قال ليس غير هذا، فتركه وانصرف.

وقال آخر لأحدهم: رأيت فى المنام كأنى مطلى بعذرة وأنت مطلى بعسل فقال هذا عملك السوء وعملى الصالح. قال اسمع تمام الرؤيا، فكنت تلحسنى وأنا ألحسك، فقال لست بأعزب يا ظالم.

وتكاذب أعرابيان، فقال أحدهما: خرجت مرة على فرس، فإذا أنا بظلمة فيممتها حتى وصلت إليها، فإذا قطعة من الليل فأنبهتها. فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها. وقال الآخر: رميت مرة ظبيًا بسهم. فعدل الظبى. فعدل خلفه، فعلا الظبى ثم انحدر، فانحدر السهم حتى أصابه.

وصاياهم ونصائحهم

فقال عبد الهادى: أخبرنا عن وصاياهم ونصائحهم.

فقال عبد الباسط: من ذلك قول بعضهم: يا بنى اكذب على الأموات وباهت الأحياء.

وقيل لآخر: بم غلبت فلانًا. قال أبهت بالكذب، واستشهد الموتى.

ومن وصايا الأمهات أن امرأة زوجت بنتها، فقالت يا بنية اقلعى زج رمح زوجك أولا: فإن أقر فاقلعى سنانه، فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه فإن

أقر فاقطعى اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعى الا كاف على ظهره فإنه حمار، وفى هذا يقول شاعرهم:

علـيك يا سـيـدة البـنات مـعصـية الزوج إلى المـمـات

وداومى غـيـرته وشـتـمـه وقـاتلى فـى كل يوم أمـه

وباعـدى مـا بينهـا وبـينه وعـينهـا فـاسـخـنى وعـينه

نوادر أطباء هذا الزمن

ومن نوادر أطبائهم أن امرأة جاءت إلى رجل مـنهم يدعى معرفة الطب بقارورة، فقال ما يجـد صاحبها؟ قالت به حرارة وضيق ويبـوسة، فقال ليت ذاك فى حر امرأتى.

وجاءت أخرى بـفسوقة فيـها ماء، فقـال لو جاز فى الفسـوقة لجاز أن تحميله فى حرك.

عوائد أهل القرى عند الأموات

ومن عوائد بعـضهم على ميتهم أن تـوقف ناقة على قبر مـيتهم إلى أن تموت ويزعمون أن الميت يركبها يوم الحشر.

وبالجـملة فكل قرية من قـرى البادية لهـا عادات غـريبة ولا فـائدة فى تتبعها، وفيما ذكرناه الكفاية.

ومن وصية الإمام مالك (رضى الله عنه) لا تسكن البادية فيضيع علمك وورد من أراد الله به خيـرًا أسكنه الحاضرة ومن أراد به شـرًا أسكنه البادية أو كما ورد.

حال الناس فى الحسبة

ثم إن الشيخ عبد الهادى التفت إلى عبد الباسط، وقال له بقيت عليك واحدة وهى الحسبة، فنحب منك أن تكشف عنها الغطاء، فقال نعم، إن من أعظم الولايات: ولاية الحسبة لكونها ولاية عامة على جميع المصالح الدينية والدنيوية.

ولهذا كان المخزن الشريف يختار لها الأكفاء من ذوى العلم والخير والدين والصلاح والأمانة والصدق والصيانة والزهد والورع من باب إعطاء القوس باريها والدار بانيها.

وكثيرًا ما نجد فى بعض التواريخ القديمة أن فلانا المحتسب كان يحرص كل الحرص على إزالة المنكرات الدنيوية والدينية ومحو آثارها ولا يمكن أحدًا من التظاهر بها.

ومن أظهر من ذلك شيئًا زجره أبلغ الزجر وعاقبه أشد العقوبة على حسب ما يقتضيه الشرع الشريف أو السياسة السلطانية.

وبمثل هذا صلحت الأحوال وكثرت الخيرات وأمن البلاد والعباد وما دار الدهر دورته وانعكست الأمور وأصبح الباب مغلقًا عمن كان حاله هكذا، وصار لا يتأهل إلا من كان من الأشرار المفسدين والأوباش الجاهلين أصحاب الغش والخيانة الذين هم السبب الأكبر فى تخريب الممالك وإهلاك الرعايا أصبح الحال كما ترى، فلا تسأل عن تفصيل ما جرى. كل شىء إلى ورا. زماننا كأهله وأهله كما ترى.

ولا يخفى أن الحسبة إذا صلحت صلح كل شىء وإذا فسدت فسد كل شىء، وها أنت ترى اليوم فسادها السارى فى كل شىء حتى فى المطعومات

والمشروبات والملبوسات حتى ف الفواكه الصيفية والخريفية كالبطيخ والعنب والبرقوق والتفاح والأجاص والمشمش والرطب والرمان والزيتون وغير ذلك بكثرة، والباعث على فساد الفواكه أمران:

الأول: أن أصحاب الحدائق اليوم كالبهائم لا يعرفون إلا التوصل لجلب الدرهم بحق أو بباطل، فلذلك يجنون الفواكه قبل إبان نضجها ليبيعوها بثمن مرتفع.

الثانى: كونهم غير مسئولين من جهة المحتسب عن ارتكاب هذا الظلم للفواكه التى لم تنضج والضرر السارى منها فى ذوات آكليها كما لا يخفى أن أكل الفواكه قبل إبان نضجها يورث أضرارًا متنوعة، ومنها ضعف المعدة وفساد اللثة وتولد الديدان فى البطن.

ولما كان أمر هؤلاء بهذه المثابة كانت الجائحة نصب أعينهم. فإذا فاتتهم صباحًا أقبلت عليهم مساء (وما ربك بظلام للعبيد).

وهل يا ترى تتحسن حالة الحسبة؟ نعم تتحسن فى المستقبل، وأما اليوم فلا لكون الحكومة أعرضت كل الإعراض عن النظر فى المصالح العمومية كلها واشتغلت بجمع الأموال الطائلة، فإذا بلغت فى العدد ألف ألف ألف مليار ذهبية، تستلفت نظرها إذن فى المصالح العمومية.

وما دام لم يكن هذا فلا مطمع للناس فى استقامة حسبة محتسب، أو ولاية متول، أو قضاء قاض، أو فتوى مفت، أو شهادة عدل أو نصيحة ناصح.

ثم إن أبا زيد عبد الرحمن حصلت له غيرة وطنية على أبناء جلدته

المراكشيين وتأسفت غاية التأسف على ما حل بهم من هذه الأشياء التعسة حتى فاضت آماقه بالعبرات وقال: عار على العاقل إذا سمع الحق أن يكون مع ذلك مصراً على إنكاره جامحًا فى زمام أوهامه معتمدًا على حجج واهية ودلائل عنكبوتية، ولكن يا عبد الباسط لو رأيت ما حل بغيرها من مدن المغرب كله خصوصًا مدينة فاس ومكناس والرباط وسلا والدار البيضاء والجديدة: وآسفى لأنساك ما حل بها، وكل من جال فى أرض المغرب يعلم حقيقة ما قلناه.

فقال عبد الباسط: إذا مد الله فى العمر فلابد لى أن أعمل رحلة لأجل ذلك، وأما الآن فلا ينبغى لى أن أذكر شيئًا من أحوال أهله من غير حقيقة.

ثم إن عبد الصمد المصرى التف إلى الشيخ عبد الهادى وقال: لولا أنى أطول عليكم المجلس لذكرت لكم ما حل بأرض مصر من المناكر الفظيعة التى تأباها الإنسانية، وتكدر صفو راحة القلوب، وتسجل على صفحات أيامه خرقًا وحمقًا ما بعده خرق وحمق.

وبالجملة فحاله يدعو إلى الدهش والعجب. ولكن قد أظهر الله فى هذه الأزمنة الهائلة رجالا لتلافى هذه الأخطار وقطع مادة الأعمال النحسة عملا بقوله ﷺ "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله"، ولا مفهوم لأرض مصر، بل المشرق كله، والأمر لله كيف يشاء فعل.

قال جامعة محمد الموقت كان الله له ورضى عنه: ثم انفصل الكلام على هذا، وقمنا لأداء صلاة العشاء.

سمر العامة

ولما فرغنا منهـا التفت رب المنزل الفـقيه أبو عـبد الله إلى الشيخ عـبد الهادى وطلب منه التجول للوقوف على وقائع ورزايا وبدع ومفاسد تشبث بها عدد من النـاس اليوم، وغالبـها لا يوجـد إلا ليلا، فوقع هذا الطـلب موقع القبول والاستحسان لدى الحاضرين.

فخرجـنا فبينما نحن فى شـوارع المدينة، إذ سمعنا قائلا يقـول للآخر: السيـدة خديجة بنت فـلان التاجر قـد جمعت فـى خلقها الحـسن والكمال، وجرى فى عروقها نشوة الصبا وماء الحياة، فشبت وسط مظاهر النعيم تكتنفها المسرات ويخدمـها الهناء، فما كـانت لتعتنى بالحيـاة وما كانت الحيـاة بحاجة إليها، فـقد وجدت من محـبة والديها وثروتها ومـا جعلها تخـوض فى غير أحاديث البـشر، وتتربع على أريكة الطهـارة البريئة تحـوطها العناية وتحرسـها العفة، ولكن الحياة الهادئة كسفـينة فى بحر مضطرب خضم، فإذا بالجو يقاوم تلك السـفينـة، وإذا بالزمان يسـتـسلم لذلك الخطر المحـدق به فهـوت تلك الصروح العـالية، وذبلت تلك الوردة النضـرة بموت والديها فجـأة فى يوم ما وهى تلك الفتاة فى الحياة، إلا من عمها ذلك الرجل التقى الورع الذى يخاف الله ويخشى سطوته، فانتقلت الفتاة إلى بيت عمها بعد أن أقاموه وصيًا عليها يتصرف فى أموالها، ويتعهد تربيتها.

وما كان لفتـاة صغيرة مثلها أن تـقوى على إدارة شئون نفسهـا ومراقبة أموالها الكثيرة.

انقلبت تلك الأموال الكثيرة بحكم الوصـاية إلى عم خديجة المذكورة، فذهل عقله، وأرخى لمطامعه العنان، فاستباح مال اليتيمة لنفسه، ونسى ورعه

وصلاحه ومهابة الله نظير المال، فانطمست معالم التقوى فيه وفسدت سريرته، وبات يعبث بالأمانة التى فى عنقه، ويتسفه فى الإسراف بالمال الذى وضع تحت يده ولا من رقيب يمنع ولا مطلع يشفع ويل لهؤلاء الناس يوم يلاقون رب الناس. ويل لهؤلاء الذين يأكلون فى بطونهم نارًا باعتدائهم على دماء الأغرار من الصبيان، يوم يلاقون ربهم وتفتح صحائف حسابهم، ويوم يؤخذون بجريرتهم.

هل فقدت الرحمة من النفوس، هل تلاشت الذمم من القلوب، هل انتزع الإيمان من الرءوس، ما بال هؤلاء الأوصياء يدعون النار تدخل فى بطونهم، والسعير يلصق بظهورهم، والهاوية تمتزج بلحومهم يوم تكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم.

لم يزل الشيخ عبد الله يتظاهر أمام الناس بالتقوى والتدين، فيحيل للرائى أنه شيخ مهيب، والحقيقة أنه شيطان فى صورة إنسان، ذو عمامة بيضاء، قد اتخذ من مظاهر رجال الدين ستارًا يبرر جرائمه الآثمة، ويظهر للناس فى ثوب الورع والنزاهة، وما زالت الفتاة تلعب، لا تذكر مالها، ولا تعرف حالها، حتى إذا ما دنا وقت الحساب، وكبرت الفتاة، وبدأت تفيق من أحلامها الذهبية لتخترق حجب الحياة، ولتتعدى سياج الجهل. كان عمها يفكر فيما ينجيه من تلك الورطة الشديدة، فعمد إلى وصية مزيفة كتبها بخطه عن لسان والدها المتوفى. جاء فيها أنه يهب كل ثروته التى يتركها للشيخ عبد الله.

ولما جاء الوقت، وطالبت الفتاة عمها بما لديه من المال الذى تركه والدها أظهر تلك الوصية المزورة التى تخول له أن يبتلع ثروة المسكينة،

فأسقطت فى يدها، وحاولت بكل الوسائل أن تجعل ذلك الوحش يتنازل لها عن جزء من تلك الثروة لتستطيع أن تعيش بها. ولكنه أصم أذنيه عن سماع توسلاتها.

ولما رأت الفتاة المسكينة أن لا رجاء يفيد فى ذلك النذل الجبان عمدت إلى مسدس كان فوق مائدة بالغرفة، فتناولته بيد مرتجفة، وأفرغت منه ثلاث رصاصات فى صدر ذلك العم، فوقع على الأرض يتلوى، وجروحه يتدفق منها الدم، وعقب ذلك صوبت المسدس إلى رأسها وأطلقته، فاخترقت الرصاصة جمجمتها، ووقعت تتلوى مما بها من الألم، وحضر الجيران على صوت الطلقات النارية، وجاء البوليس وحمل العم وابنة أخيه إلى المستشفى، وهناك صعدت روح تلك الفريسة إلى خالقها.

أما ذلك الوصى المغتال: فقد برئت جروحه بعد عدة أسابيع، وغادر المستشفى، وهو يعيش إلى الآن متمتعًا بذلك المال الحرام.

فقضينا من هذا الخبر عجبًا ومررنا. وإذا برجل عليه أثر العلم وبيده سبحة طويلة يقول للآخر: لقد أغوتنى فلانة وأحبتنى فأحببتها، وتفانيت فى سبيل حبها، حتى صرفت عليها كل ما أملك من عقار ومال زيادة على ارتكاب الوزر والعقوق. أما الوزر فظلمى لزوجتى بإهمال حقها وتعذيبى لها بهجرى للمنزل مدة ستة أشهر، كل هذا فعلته دون أن أعبأ بغضب الوالدين، أو أرحم بكاء زوجتى التى تبيت ليلها متأوهة، تترقرق الدموع على خديها.

لقد ضحيت أيها الصديق فى حب تلك الفتاة شرفى وسعادتى. ضحيت رضاء والدى وثروتى، ضحيت زوجتى وعرضى. وأخيراً ضحيت وظيفتى ومورد رزقى.

آه أيها الصديق. هل لك أن ترثى لحالى، أو تفوه بكلمة تواسينى بها فى وحشة هذا المرض الحال بالجسد. لقد كنت واهمًا فى إخلاص تلك الفتاة، ولقد كنت مخدوعًا بتلك الابتسامة الكاذبة التى أغرتنى وجعلتنى أتدنس وألقى بنفسى فى تلك الهوة السحيقة.

والآن أتدرى ما صنعت معى؟ لقد نبذتنى نبذ الحذاء الخلق، وكأنها ما عرفتنى ولا عرفتها، وأصبحت تفر من رؤياى بعد أن كانت بالأمس القريب تتمنى قربى ولقائى، فقال له صاحبه: ويحك أيها العاق لوالديه لقد غرتك الدنيا يزخرفها، فأقبلت عليها تطلب ودها، فتركت المعاصى والشرور فى أرضها.

غرتك نضرة الشباب، فاستمرأت مرعى الفساد، وغرك الشيطان، فزلت قدماك، واحتجب أمام عينك طريق الهدى، فترديت فى تلك الهوة السحيقة، فتركناهما وانصرفنا.

يقول جامعه محمد الموقت كان الله له: انتهى الجزء الثانى، وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى عام إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية. على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

ولينتظر القارئ فى القريب العاجل إن شاء الله ظهور الجزء الثالث منها جعل الله الجميع تتميمًا لدواء القلوب التى أضحت سقيمة. ومتنزها ترتاض فيه الأرواح، وتستمتع به القلوب المستقيمة آمين. وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (فسيكفيكهم الله وهو السمع العليم) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس الجزء الثانى من الرحلة المراكشية

الموضوع	الصفحة
عوائد أهل مراكش وهى كثيرة	٥
بيان عقائدهم	٣٩
الكلام على بقية المناكر	٤٥
مثالب الحمامات	٤٨
مثالب الأذان	٤٩
مثالب الصلاة	٤٩
حكم تأخير الصلاة عن وقتها	٥١
حكم أكل أموال الظلمة ونحوهم	٥٦
مثالب الصلاة أيضًا	٥٧
شغف غالب الناس بأكل الحشيشة والأفيون وشرب الخمور	٨٤
من عوائدهم المنكرة لعبهم القمار والشطرنج وغيرهما	٨٧
حكم الأيمان الكاذبة	٨٩
الحلف بالطلاق	٩٢
ارتكاب المعاصى عند القدوم من الحج	٩٣
حكم الزار وما يتبعه	٩٥
البدع التى يفعلها الناس يوم عاشوراء ونصف رمضان	٩٦
طواف الطائفة العيسوية على البيوت قرب إبان المولد النبوى	١٠٠
حال غالب الناس فى إخراج زكاة الفطر	١٠١
ما يصنعه الناس فى جلد الأضاحى	١٠٢

الموضوع	الصفحة
تغيير الناس ألفاظ الذكر والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ	١٠٢
عوائد غالب الناس فى ليالى رمضان	١٠٤
عوائد اتخاذ الفونوغراف	١٠٧
البدع المرتكبة فى الصوم	١١٠
عيوب غالب القراء اليوم	١١٣
المناكر التى يرتكبها الناس فى زكاة الفطر	١١٤
حكم النذر لأضرحة الأولياء وشد الرحال إليها	١١٥
عكوف شبان الوقت على قراءة الجرائد والمجلات القبيحة وضررها بهم	١٢٦
عوائد حملة القرآن وطلبة العلم	١٢٦
اتخاذ القراء القرآن حرفة	١٣٠
الأفعال الذميمة للقراء المعلمين للقرآن	١٣٠
مجاهرة القضاء بأخذ الرشوة	١٦٦
حال أهل البوادى اليوم فى العقائد والعبادات الدينية	١٧١
تحريف غالب قرا هذا الزمن للقرآن	١٧٩
تصحيف غالب أهل هذا الزمن فى قراءة الحديث وروايته	١٨٠
تخبط الفقهاء وتلاعبهم مع العامة بأمور الدين	١٨٠
سمر العامة	١٨٨